سيد الاهل

النكتة المصرية

808.7
Sa 27nA

AP 2
AP 10'56
26
JA 18
80
J. Lib.
3-0 MAY 1985
DE 4'56
FEB 56
1 61
MY 2'56
SAFET LIB.
4 JAN 1989
Circulation Dept. 2

المكتبة المصرية

808.7
Sa27n A
C.1

عبد العزيز سيد الاهل

مندوب وزارة المعارف المصرية للتدريس
بكلية فاروق الاول في بيروت

النكتة المصرية

دار العلم للملايين

نیسان ۱۹٤۸

بیروت

من شاهد الأرض وأقطارهـــا
والنـــاس أنواعـــا وأجناسا

وما رأى مصر ولا أهلهـــا
فمـــا رأى الدنيـــا ولا الناسا

تمهيد

●

طلب إليّ صديق من الأصدقاء حين كنت مدرّسا باحدى مدارس حلب ، منذ عام ، أن أتقدم إلى أحد نواديها بمحاضرة يسمع فيها أهل حلب صوتاً مصرياً ، فأجبت الطلب لأول عرضه ، ثم بدت لي فيه بعد أن دُرْت بفكري قليلًا صعوبتان :

الصعوبة الأولى أنني سألقي محاضرة ، وهو أمر يحكم عليّ بالحبس حيناً لأفكّر ، وبالحبس حيناً آخر لأكتب وأدبّج وأرتّب ، ثم هو يحكم على سامعيّ أيضاً بالحبس ساعة أو أكثر ، ويُعْقِبُ الأمر سلامة يُحمد الله عليها إذا قدّر لي النجاح ، فطالما التقى المحاضر والسامعون ثم افترقوا وكأنما لم يلتقيا ، وذلك على أحسن تقدير ، وطالما رجع المحاضر مملوء الجعبة بسهام النقد والتجريح ، وقد يرجع بأكثر من هذا ، وقانا الله السوء !

والصعوبة الثانية أن في طلب المحاضرة مني تكليفاً

بالعموم من غير تخصيص ، وكل شيء في دنيانا – قلّ شأنه أو عظمت مُنّته – يصلح أن يكون موضوعاً للكلام ، وحتى لو حصرتُ نفسي في الأدب الذي أحترفه لكان كذلك شيئاً غير محدود ! فلم يبقَ أمامي إلا أن أستلين الراحة وأسلّم قدميّ لطريق الفرار .

ولكني عدت بعد برهة إلى التفكير ثم رجعت إلى الهروب ، وبين هذا الأدبار وذلك الأقبال وقعت – كما يقولون – في حيص بيص ، ولم أدرِ كيت من ليت ! وجعلت أنظر لعلّ الحاجة تفتق الحيلة ، ولعلّ المضيق يهديني لمفتاح الطريق ...

قلت : أتكلم عن المتنبي فهو ابن حلب . ولكني رجعت فأنفت أن أتحدث عنه فقد شعرت بمصريتي ، وبين المتنبي وبين مصر حديث يطول !

وقلت : أتكلم في شيخ المعرة ، والمعرة حلبية أو حمصية ، ولكني رجعت أيضاً ، وما لي وللبَلَس والبُلْسن ، ولست من أتباع الشيخ الزاهد ، ولا آنف ولا يأنف معي أهل المعرة أن نأكل اللحم الصريح على الضريح !

وقلت : أتكلم في الغزل لأجتذب اليّ قلوب الشبان ، بل في الزهد ليرضى عليّ الشيوخ ، بل في الشعر القومي ، بل في السياسي ، وبل مع بل تحدث بلبلة وتردداً وحيرة واضطرابا .

ولعلي لو عثرت على موضوع من أشباه هذه الموضوعات

لضقت بـــه ، فأنا لا أودّ ان يتبعني ظل هـــذا الأدب الارستقراطي في النادي كما يخيم عليّ ظله في المدرسة ، وإني لأحمد الله إذ لم يقع في نفسي شيء منه أتقدم به بين يدي الناس . ولقد وقفت طويلاً أستعرض دورة الفلك لعلي أقع على موضوع للمحـــاضرة او يقع عليّ ذلك الموضوع حظا وقـــدراً .

ثم ظفرت بعد لأي بضالتي ، وكان فضل هـذه الهداية لأخوان لي من المصريين ، فقد أنقـــذوني من تحت كلكل البعـير — كما يقول التعبير القديم — او أخرجوني من فم الزجاجة — كما يقول التعبير الجديد .

رأيتني معهم وقد انتحينا جانباً في مقهى من مقـــاهي حلب نتجاذب أطراف الأحاديث ، في جد حيناً ، ثم لا نلبث ان نمزج بين هذا الجد الجاف وبين المزاح الحلو حيناً آخر ، ثم نستطرد فنخرج من كل الجـــدّ إلى المزاح كله فنتندّر وننـــكّت ثم نبتسم ولا نكتفي بالابتســـام فنضحك ، ثم نضحك ولا نكتفي بالضحك فنقهقه ، ثم لا نكتفي فنضج ونصيح ، ثم نفيق فاذا الناس من حولنا في صمت وسكون يخالطهما لون من ألوان التعجب والاستغراب .

حينئذ بلغت الضالة المنشودة ، فقلت في نفسي وأنا أتأمل : لتكن هذه الخفـــة في الروح موضوعاً لمحاضرتي التي أريدها او التي يريدونهـــا ، ثم ضيّقت وخصصت فقلت : ولتكن النكتـــة ، ثم ضيقت وخصصت فقلت : ولتكن

النكتة المصرية !

ومنذ ذلك الحين لان لي منهج القول ،واتضحت السبيل، بعد ذلك المشوار الطويل .

*

وقد كان لي ان أضرب لخفة الروح المصري المثل بغير النكتة ، فانك تستطيع ان تعرف هذه الخفة أو تلمحها في فنون كثيرة من اقوال المصريين ، وفي صور كثيرة من آدابهم واعمالهم .

تستطيع أن تراها في أدبهم الفصيح شعره ونثره ، فمنذ كان للمصريين شعر ونثر عربيان امتاز فنّاهما هذان عن كل نثر وكل شعر في أي بلد آخر – امتازا بانطباعهما بالطابع المصري الذي هو خفة الروح حتى في أشدّ العصور محافظة على الفصحى وجِدّ الفصحى .

ولعلك تدرك ذلك بوضوح اكثر حين أصبح لمصر أدب قومي ، وذلك منذ انفصلت مصر عن الدولة الاسلامية العامة في اخريات العصر العباسي ، ولم يَعُد يجتمع الشعراء والادباء حول موائد بغداد خاصة . ويتضح لك ذلك اتضاحاً اكثر كلما زادت مظاهر القومية المصرية . ويتضح لك اكثر واكثر حين اصبحت القاهرة البلد الحفيظ الامين على الادب العربي كله دون البلدان العربية الاخرى ، فانه نفخ فيه من روحه الخفيف وأثر فيه بمزاجه الرقيق ، فصدر الادب عنه مصرياً صميما .

ولك ان تقرأ أدب ابناء مصر او المتمصرين في عهود القومية المصرية من أمثـــال ابن النبيه وابن مطروح وادباء عصرهما ، ثم الشبراوي والحجـازي وادباء عصرهما ثم الساعاتي والنديم وادباء عصرهما ثم حفني ناصف وحافظ ثم الطبقـــة الناشئة بعد هؤلاء – لك ان تقرأ لكل هؤلاء فتدرك امتياز الادب المصري بذلك اللون الجميـل الذي يصدر عن ارواح مرحة فيريح قلبك من غمـــه ، ويملأ شغافه راحة ومسرة وايناســاً .

*

فاذا جاوزنا الادب الارستقراطي واصحـابه الى الادب الشعبي واصحابه – ومنهم بعض اولئك الذين حدثنا عنهم – بانت لنا خفة الروح المصري بأجلى وضوح . فاننـــا نرى اصحاب الادب الشعبي اهل رقة وتخفف وحسن حيلة ومدخل على قدر ما يتيح لكل واحد منهم طبعه ويمدّه فنه .

وأمامك الف ليلة وليلة ، فاعلم انها لم تصر الى ما صارت اليه إلا بعد أن نفخ الروح المصري منه في كل أكاذيبهـــا وتهاويلها ومزاحها ومجونها ، لذلك تجدها خفيفة حبيبة . وهنالك قصص ومقامات واغان وأشعار هزلية وعامية كثيرة أصابها مـا أصاب الف ليلة من روح المصريين .

أما فيما عدا أدب القول فانك لا تحس المصري ثقيلاً في سؤاله ولا معاملته ، فلا هو لحوح لجوج ولا قاس عنيف ، نعم قد يصل الى ما يريده بالحيلة ورقة المدخل وحسن المخلص ،

وهو ما يسميه بعض من لقيَ المصريين بالدهاء والمكر كما ستقرأ بعدُ في رسالة أبي الصلت أمية بن عبد العزيز، ولكن المصري يصدر في كل ذلك دون قصد سيء. وما من شك في أنه يحتال ويترفق ليكون خفيفاً لطيفاً.

*

وبعدُ، فمهما يكن من شيء فاننا مضطرون لان نقرأ فصولاً طوالا وأخرى قصاراً في الأدب الارستقراطي أو الأدب الشعبي لندرك منها جمال النفس المصرية وخفة الروح المصري، أو نعاشر المصريين معاشرة طويلة أو قصيرة لنعلم أمورهم، ولكنا لن نضطر إلى شيء من ذلك حين نميل الى النكتة المصرية نستعينها المثال.

لن نكلف أنفسنا مشقة القراءة الكثيرة الثقيلة والبحث الطويل الممل لندرك ذلك، فالنكتة الشعبية أدلّ على الفرد المصري والشعب المصري كله من كل أدب سواها، لأنها تلبس خيلَعاً من الثوب الرقيق فتبدو محاسنها عند أول نظرة تستيقظ عليها العيون.

النكتة

ولم أرَ بدّاً حين بدأت البحث من أن أرضخ لحكم الصنعة فأعرّف النكتة تعريفها اللغوي والفني ، قبل أن أعرض لجوانبها الأخرى بالبسط والتفصيل .

فمعنى النكتة في اللغة النقطة ، ولعلّ اللفظ هو نفسه بعد تخفيف القاف إلى كاف والطاء إلى تاء ، أو لعله غيره ولكنه بمعناه ، وحينئذ يخضع للقاعدة المشهورة في فقه اللغة وهي التي تقول : إن الألفاظ المتصاقبة الحروف متصاقبة المعاني .

وللنكتة غير هذا المعنى معان أخرى منها شبه الظلمة في المرآة والسيف ونحوهما ، وفي هذه المادة معانٍ كثيرة لسنا بسبيل عرضها الآن ، وكلها يمت إلى دراستنا بصلات قريبة أو بعيدة .

ومن معاني النكتة أيضاً كل كلام مستملح ، وهو ما سميه العرب بالمُلَح ويُلحقون به النادرة ، ومن معانيها

الطعن ، والنكّات الطعان .

ولكن هذه المعاني اللغوية والقاموسية لا تحيط بالنكتة فتعرفها للناس تعريفاً يقرب إليهم حدودها . وإذن لا بدّ لها من تعريف ، ولعله من بعض التوفيق أن يقال فيها « انها فن من أوجز فنون القول يثير نفس السامع فجأة للطرب فيضحك أو يغضب » .

وما دامت النكتة قد أصبحت فناً من فنون القول كما عرّفنا فلا بدّ لها من شروط : فهي في حاجة إلى خاطر سريع ذكي ، وإلى قدرة على الامساك بعنان اللغة والقبض على ناصيتها ، وإلى علم بمدلولات المفردات اللغوية وتلوين الأساليب ، وهي في حاجة الى تركيز الفكرة في أخف الألفاظ على السمع وأقلها كلمات وحروفاً لئلا تضيع حلاوتها في تطويل الكلام ، وهي في حاجة كذلك إلى صب المعنى في المقطع الاخير حتى يفارقه المتكلم وقد أطرب كلامه السامع فأعجبه او أغضبه .

والنكتة في حاجاتها هذه شبيهة بالنادرة وشبيهة باللغز ايضاً ، ولكنها أقصر من النادرة وأوجز ، وهي أبين من اللغز وأفصح .

وقد تلتقي النكتة بالنادرة في مقطع النادرة الاخير ، بل لا تحلو النادرة إلا اذا ختمت بنكتة ، وقد تقصر النكتة حتى تصير سؤالا وجوابا او تكون كلمة واحدة ، وحينئذ تنفصل عن النادرة ، وقد تكون إيماءة يسيرة تشير الى ما

يراد من كلام إشارةً واضحة لئلا تصير لغزاً .

فاذا أردت النكتة فركّز فكرتك ، واسطع بأشعة نفسك ، وقلل الكلمات واختر الالفاظ التي تحدد المعنى وتحصر ذهن السامع فيه ، ثم المس المعنى لمساً خفيفاً ، وحبذا لو تركت للسامع بقية من المعنى يكمله في نفسه ، إنك ان فعلت ذلك فقد قدرتَ على النكتة وأوقعت عصيّها في شباكك وأصبت الهدف فأطربت وأعجبت ، اضحكت او لذعت .

ولغتنا الفصحى في شعرها ونثرها قادرة على النكتة مالكة لناصيتها قدرتها على النادرة واللغز ، إلا انه قد ميل بالنكتة في مصر وفي غيرها عن اللغة الفصحى الى العامية لانها تخلص حينئذ من ثقلين :

أولها : ثقل الجزالة في اللفظ الفصيح .

وثانيهما : ثقل الاعراب والتنوين .

وليس معنى ذلك انها لا تحسن إلا باللفظ العامي ، وانما قد تحسن ايضاً باللفظ الجزل الفصيح ، بل قد تحسن بالتشدق باللفظ الغريب من حيث لا تحسن بالعامي الدارج ، وذلك إذا كان المرمي بالنكتة معروفاً بالنحو واللغة . ولكنها في غير هذا الموضع تحمل ثقلا وسماجة يؤذيان .

وطريقة القاء النكتة لها شأن عظيم في حسنها ، فقد تحسن النكتة مرة ومرتين وثلاثا وهي هي في مجلس واحد وعلى اسماع لم تتغير ، من نكات خفيف الروح يجيد

الالقاء .

ولعلها تكون احلى وقعـــاً واروع حسناً في نفوس السامعين لو ان قائلها لم يقهقه او لم يضحك او لم يبتسم ، وانما يمسك اساريرِ وجهه على الصلابة كأنما هو في جد لا في مزاح . ولن يستطيع ذلك إلا متخصص في النكـــتة او حابس نفسه على روايتها ، ومن هؤلاء بعض المحترفين .

وتستحسن النكتة من ظريف يجمع بين برديه صفات الظرفاء فينصت له السامعون . وليست صفات الظرف بعيدة عن القارىء الفهم ، فهي ان تخف الاشارة وتلطف العبارة وان يكون الرجل رشيقاً واعياً رقيقاً غير ثقيل النفس ولا غليظ الطبع ، وان يلبس لكل نكتـة شكلا ، ويُلبس كل نكتة اسلوباً . وجدير به ان هو وقع في خطأ في اثناء القائه النكتة ان يحسن التخلص من خطئه وان يخرج مما دخل فيه ، ويجب عليه ألا يُعربها فتثقل ، وألا يقطعهـــا فيصيبها الجمود ، وعليه ألا يطيلها فيصيبه ويصيبها برد قريس.

وإنك لترى كثيراً من الناس قـد سلب الله إدراكهم وأثقل دماءهم ، فهم يحاولون أن تقع منهم النكتة فتخرج عن الجد والهزل معاً فتجهد بوقعهـا القلوب وتفزع النفوس وربما أتت على المجتمع ففضته ، وعلى أواصر الصداقة فقطعتها .

وإنه لمن محاسن النكات — حتى لو كان ظريفاً — أن يقلل من نكته في المجلس الواحد ، وأن يكون حذراً لبيقاً . فاذا وقعت منه نكتة استحسنها السامعون جميعاً وضجوا لها

يكشف للسامعين عن نيته فيها ، ولا يزال السامعون يلتفتون اليه عنـــد كل نكتة او كل ردّ كأنما هو صاحب القول الفصـل في الضحك وفهم النكت ، لمـــا عرفوا من شهرته السابقة في هذه الصناعة ،حيث يشيع بين المجالس انه هو المنفرد بالأضحاك حيث يكون ، وحتى يحجم صاحب النكتة البارعة عن ابدائها في حضرته مخافة التبويخ الذي يصيبه ولا يرتضيه لحديثه .. وهو لا يتخذ المنادمة والتنكيت صناعة يحتمل من أجلها صدمة التبويخ والاعراض » .

هذا ولم تعدم مصر في أي عصر من عصورهـــا محترفاً للتنكيت متكسباً به في كثير من الوجوه كهذا الذي صوره الاستاذ العقاد ، وبطون الكتب ملأى بالامثال والأشباه .

مسرى التنديد بالجمود أو البخل او الجبن . واليك بعض الامثلة من نكت هؤلاء :

للانكليز :

أفلت لوح خشبي من أعلى حائط خارجي لمنزل ، وكان عليه دهانان انجليزيان . أما اللوح فظل معلقاً من طرف واحد بحبل ، وأما الدهانان فقد استطاع احدهما أن يمسك بطرف اللوح واستطاع الثاني أن يمسك بقدمي رفيقه ، وبينما هما على هذه الحالة الخطيرة قال الأسفل للاعلى : جورج !دي جزمتك عاوزه نص نعل .!

للبرود :

اليهودي : عاوز ادخل الجنة .

رضوان خازن الجنة : ما هي حسناتك التي قدمتها لتدخل الجنة ؟

اليهودي (مفكراً) : تصدقت في حياتي بنصف قرش !

رضوان : هذا لا يكفي .

اليهودي (مفكراً أكثر) : وتصدقت مرة ثانية بنصف غرش آخر !

رضوان : برده لا يكفي !

اليهودي (مطيلا التفكير) : وتصدقت مرة ثالثة بقرش كامل !

رضوان : كل ذلك لا يكفي فابحث عن زيادة .

اليهودي (بعد تفكير طويل) : لم يعد لي بعد ذلك من حسنات !

رضوان (بعد أن وضع يده في جيبه وأخرجها) : تفضل القرش الصاغ بتاعك أهه ، وياللة اتفضل على جهنم !

مصر من البلاد العربية كافة للعلم أو للتجارة أو للنزهة . أما المصريون فقليلاً ما ينتقلون في ربوع تلك البلاد . وإلى عهد قريب كان المصريون يعدون تقلبهم في البلاد تضحية كبرى يفرون منها فراراً ، فيما عدا هذه الأيام التي أرسلت مصر فيها إلى البلاد العربية كلها موظفين ، الكثرة الطاغية فيهم من المدرسين ؛ وبهذا كله نالت النكتة بالدارجة المصرية حظاً عظيماً من المقدرة وأصابها حظ كبير من الاستحسان.

والمصريون بطبيعتهم قوم مرحون يحبون التندر والتنكيت ، ويستثيرون أسباب المرح ولو أحاط بهم الغم من كل جانب . وأذكر أن أحد مكاتبي التيمس في القاهرة كتب لصحيفته في إبان ثورتنا الكبرى يقول ما معناه : « إن المصري طروب بطبعه ، وهو أقدر من يملك ناصية لغة ، وإنك لترى المظاهرة وقد أصيب فيها الشبان فسالت الدماء ودعا داعي الحزن وإذا بك تسمع في جانب من المظاهرة نكتة من أحد المتظاهرين ، فيصيح الجميع مقهقهين » . ومن قبل قال كلوت بك : « وللمصريين نزعة إلى السرور ، واندفاع فطري إلى المزح والمطايبة على وجه ينم عن الذكاء وحضور الذهن وسرعة الخاطر » .

وفي المصريين بعد ذلك صراحة وإعلان وجرأة عليهما ، من حيث يخاف غيرهم التصريح والاعلان ، فربما خطرت نكتة لدى مناسبة من المناسبات في أذهان قوم مجتمعين بعضهم مصري وبعضهم الآخر غير مصري — خطرت في ذهن

غير المصري وهمست في قلبه كما خطرت في ذهن المصري وهمست في قلبه ، ولكنك ترى المصري لا يطيق كتمانها والسكوت عليها ، وسرعان ما يفوه بها وهو لا يبالي أن يطرب السامعين أو أن يغضبهم ، وتلك — لو أصبنا — بعض أركان الشيء الذي يسمونه في الأدب بخفة الروح .

إن الحلبي قليلاً ما يتكلم ، والدمشقي يتكلم في همس ، والبيروتي يتكلم حذراً . وغير هؤلاء لكل منهم لون في الحديث . أما نحن المصريين فاننا شعب يتكلم وراء خاطر ثائر بصوت عال ، ونحن شعب تمتاز أفراحه وأتراحه بالاعلان والزعيق ، وقد يشاركنا في بعض هذا أهل بيروت . ومن سمع في شوارعنا الردّاد وأبواق السيارات وطقطقة الدراجات والجلاجل والاجراس يدرك منا كيف نحب الجلبة والضوضاء !

وقد أثرت هذه الروح في النكتة المصرية فاتصفت بالظهور والوضوح بحيث لا تدغم فتصير لغزاً لأنها إن صارت لغزاً ضاعت محاسنها واحتاجت الى إعمال فكر لتفهم « الحازورة » او « الفازورة » كما يسميها عامة الناس .

وتستطيع أن تدرك خفة الروح المصري من أسماء كثير من الموضوعات التي يعالجها الكتاب والأدباء المصريون ، ومن أسماء بعض الروايات الهزلية التي تمثل على مسارح القاهرة ومسارح البلاد العربية مثل « ما حدش واخد منها حاجة » ومثل « بنت المعلم » ومثل « كازينو اللطافة » وأمثال هذه الأسماء كثير .

فاذا أضفنا الى هذه الطبيعة المرحة في المصري سبباً له خطر فاننا نضيف ما عليه جونا من الاعتدال ، ذلك الاعتدال الذي يصنع في الأمزجة الاعتدال ويبعد عنها الحدة التي تخلقها حدة الجواء . وقد يتطرف الاعتدال تطرفه في مصر فيخلق التسامح الذي نجده في جبلة كثير من المصريين .

حقاً تهب على بلادنا مع الربيع رياح الخماسين حارة تحمل رمالا دقيقة يغبرّ بها الجو ويتكدر صفوه ، وحقاً تلفحنا في الصيف أمواج من الحرارة القاسية فنغرق في صبيب من سيول العرق الدافق ، ولكننا نخفف عنا هذه وتلك فننزوي في البيوت والأندية والمقاهي او نتطرح على سواحل البحر وشواطىء النهر وحشائش الحدائق ، نحتجب او نبترد ، ونرسل أخيلتنا في هذه البطالة ، او نرى مناظر لم تؤلف فنرسل وراءها النكتة . وللجو الحار حكمه ففيه يظهر المزاج السوداوي النـاشىء من تغلب النظـام الكبدي والصفراوي كما يقول الاطباء ، على ان النهـار مهما قسا حرّه فعلى الليل ان يرجع بميزان الحرارة عندنا الى الاعتدال ، ومهما اشتد قيظ الصيف فان النيل وحـده من بين أنهار الدنيا يفد في هذا القيظ فيبل الأرض ويرطب الهواء ويعدل الفصل تعديلا لطيفاً .

ونضيف أيضاً الى ما قدمنا سهولة الارض وخلوها من مصاعب الجبال ومهاوي الوهاد ، بحيث يخوض السائر ارض مصر شرقاً وغرباً ، وطولا وعرضاً ، سهولة ودراكا .

ونضيف خصوبة الارض وجودها بالرزق الوفير والخير الكثير دون العناء في استنباط الماء او استغاثة السماء ، وانما هو النجاشي الحلو الاسمر ذو الارغن المغني والزئير المدوي ، المتلاحق الغيوث الطامي العباب ، الصادق الوعد ، المنصب في البحر كما تنهار الجبال : نهر النيل هو ابونا ونحن ابناؤه نتطرح على شواطئه ونرتمي في احضانه ، وحسبنا ان يضمنا منه ذراعان ولكنه يجودنا بأربعة وعشرين ذراعاً ، حتى اذا عجّ عجاجه وتكاملت أمواجه ثم نكص على عقبيه كأول ما بدا شاعت فينا انواع من البطالة لوفرة الغنى وقلة الحاجة فيتسع الوقت للراحة والكسل ، واللهو والعبث ، والفكاهة والتطريب .

نعم قد تطول البطالة فتكون سبباً للامعان في النكتة فيخرج أهلها من الرقة الى الغلظة ، ومن المستحسن الى ما لا يستساغ . وقد دفع هذا من لم يدرس الحقائق كلها معاً الى الزراية على المصريين ورميهم بالكسل كما حدثنا كثير من الكتاب فيما كتبوا عن مصر في مختلف العصور ، ومن هؤلاء كلوت بك في كتابه « لمحة عامة الى مصر » قال :

« اذا تُرك المصريون وشأنهم اخلدوا الى البطالة والكسل وتراموا في احضان الدعة والخمول ، أي انه اذا لم تستفزهم الى العمل ارادة فعالة وهمة نشيطة ولم تدفعهم اليه يد قوية آثروا قضاء حياتهم في البطالة التامة . ولعل الباعث لهم على ذلك قلة احتياجاتهم وقدرتهم على قضاء ما يستشعرون به منها وهم على مهاد الراحة ، ومن مظاهر جمودهم على هذا

الجمود الشائن انهم قلما يفكرون في المحافظة على خصوبة الارض التي يلتمسون منها غذاءهم بالعمل المتواصل في فلاحتها واستخراج خيراتها . والحقيقة الثابتة ان دولة المصلحة لم تتغلب في نفوسهم على ما ألفته من الاستقامة إلى الكسل والسكون ، فتراهم لهذا السبب لا يهتمون من شئونهم إلا بما يتعلق منها بحاضرهم غير ملتفتين إلى مستقبلهم ، وهم يشبهون لصوص نابلس ، لا يحركون ساكناً إلا إذا عضهم الجوع بنابه ، فالنظر الى المستقبل لا يمتد عندهم الى أبعد من الغد » .

ومن كلامه المضحك في معرض الكلام على النوم وطريقة الرقاد : « والظاهر ان المصريين ينامون طوع ارادتهم » .

وهذا الكلام الذي يقوله كلوت بك فيه كثير من الحيف ، وحتى لو صدق فيه لما كان الا معبراً عن حال بقية الناس التي أفلتت من الظلم والجهل من عصور المماليك ، وكان عليه وهو أحد بناة النهضة الاخيرة أن يدرس المصريين أكثر مما درس ، وأن يتنبأ بمصيرهم العظيم الذي صاروا اليه في العهد العلوي السعيد . وفات هذا المؤرخ أن المصريين شعب راسخ الايمان كان حين ذلك يتبع فلسفة القناعة التي شاعت وعمت شعوب الشرق . ولسنا في معرض الكلام عن حسن هذه الفلسفة أو قبحها — وانما المصري يتبع هذه الفلسفة من غير أن يحتاج الى مدرسة أو كتاب يتعلم منها القناعة ، بل هو يلقنها من آبائه ويستمليها من جيرانه ومن

وطنه الكثير الخيرات ، ومن عيشته القليلة التكاليف .

ولعل كلوت بك يلمس هـذا في المصريين فيشير اليه إشارة يسيرة . فقد قال عندما تكلم عن الانتحار في الجزء الثاني من كتابه : « ومهما تكن الدرجة التي يهبط اليها المصري في سلّم الهيئة الاجتماعية على أثر كارثة حاقت به فانه لا يعتقد أن فى هذا الهبوط ما يحط من كرامته أو يقلل من شأنه ، فلا غرو وهذه قوة اتكاله ووطود ايمانه أن يكون من اليأس وخور العزيمة مناط الثريا ، وألا يفكر أبداً في الانتحار ولا يخطر له مثل هذا الفعل على بال » .

ولعل القناعة التي تبعث في نفس المصري الرضا كانت خلقه في كل الاجيال وكل الازمان منذ استقرت حضارته في الوادي ، وكان الرضا يُشيع في جوانب نفسه السرور حتى في أظلم الدياجير ، وأقدم العصور .

قال جستاف لوبون في كتابه « الحضارة المصرية » : « إن المصري لم يكابد من الشدائد الا القليل اذ عاش في مناخه المعتدل بجوار النيل الذي أغدق عليه ما يزيد عن حاجته الضئيلة ، فلم يعرف ألم الحرمان ولا نكد الطبيعة » .

وقال في موضع آخر من الكتاب : « وكانت الطبيعة رحيمة باسمة له فما أرته يوماً مجاعة ولا أنحت على حصاده بجليدها ولا هدمت بيته بريحها الصرصر العاتية . ولذا لا نرى في أناشيده تلك الصلوات الحارة التي كان ينشدها الآريّ نزيل شطوط الهندوس يدعو بها ربه أن يجنبه الجفاف

ويرسل عليه أبقار السماء » .

« نعم ، إن الكتاب المقدس قد أخبر عن المصريين القدماء بانهم أمة حرب وطعان . ومعنى ذلك انهم قوم مطيعون، وقد انتصروا في كثير من حروبهم القديمة والحديثة ، ولكن المصري بطبعه يؤثر السلام على الحرب ، وليس اشهى لديه من عيشته في حقل هادىء . وهو ذو قلب رحيم ميال الى السرور والاخذ باسباب المسرات . وانك لا تجد بين المصريين فظاً غليظ القلب كما تجد بين شعوب الاسيويين » .

ويقول الاستاذ جاردنر في كتابه « علم الآثار » عندما تكلم عن حفريات مساكن المصريين القدماء : « هذا ، وان كان يظهر ان جميع الطبقات في مصر من الملك الى الارقاء تحكمها أنظمة صارمة ، فان ما نستخرجه من الصور لا يدل على حياة كئيبة ، بل بالعكس على حياة خارج المنزل كلها انشراح وكدّ ، بل ملأى بالعمل واللهو ، ويظهر ان الترويح عن النفس وانواع التسلية المتعددة كانت كثيرة الشيوع » .

ان هذا الكلام ، وان لم يكن كلاماً منصباً انصباباً مباشراً على الحديث في النكتة او احد فنون الكلام ، الا انه مفتاح له لتتصور الانسان ان التسلية بالسمر والكلام كانت من ضروب اللهو في الولائم ، وفي حفلات الرقص عند الاغنياء ، وعند العامة في النزهة الخلوية وأيام الاعياد .

ويحدثنا جاردنر عن اعياد العامة فيقول عن عيد انوبيس العظيم :

« إنه – أي العيد – قد فقد محاسنه الاصلية فيما بعد واصبح من الحفلات الملأى بانواع التهتك والخلاعة . »

ومما تستطيع ان تتخذه غاية او سبباً ما يقوله هذا العالم عن حياة المصريين الخلوية فقد قال :

« ولما كان جوّ مصر ملائماً لمثل هذه الحياة الخلوية فانه كان ملائماً كذلك لارتداء الملابس الرقيقة جداً ، بل ان هذه الحياة أوحت الى النحاتين باتجاه في فن النحت يميزه في مصر ، وقد قال جاردنر : « وكثيراً ما كان النحات يمثل الملابس شفافة لشغفه باظهار محاسن الجسم . »

هذا بعض ما كتب عن مصر القديمة لتعرف منه ميل ذلك الشعب منذ القدم الى المباهج والمسرات .

*

فلما كانت مصر تحت حكم المسلمين لم تزرق حاكما يحرم على اهلها السرور او النكتة او يفرض لها العقوبات ، بل كان كل الحكام المسلمين – ما عدا الحجاج – يتسمحون في النكتة والنادرة ، ويعدونها من اسباب المنادمة ورقة الذوق ولطف الطبع .

لم ترزق مصر في العهد الاموي حاكماً كالحجاج بن يوسف فيفرض أشد العقوبات على من أشبه كلامهم كلام المزاحين إذ كان يطل دم الرجل في كلمة شبيهة بالمزاح تصدر عنه .

قالوا : قال رجل للحجاج : « أصلح الله الامير ! كيف وجدت منزلك بالعراق ؟ » قال : « خير منزل لو كان الله بلغني

أربعة فتقربت بدمائهم اليه . » قال : « ومن هم ؟» قال :« مقاتل بن مسمع ، ولي سجستان فأتاه الناس فاعطاهم الاموال ، فلما عزل دخل مسجد البصرة فبسط الناس له أرديتهم فمشى عليها وقال لرجل يماشيه : لمثل هذا فليعمل العاملون . وعبيد الله بن زياد بن ظبيان التميمي ، حَزَبَ أهل البصرة أمر فخطب خطبة اوجز فيها فنادى الناس من أعراض المسجد : اكثر الله فينا امثالك ! فقال : لقد كافتم الله شططاً ! . ومعبد بن زرارة ، كان ذات يوم جالساً في طريق فمرت به امرأة فقالت : يا عبدالله ، كيف الطريق الى موضع كذا ؟ فقال : ويلك ! لمثلي يقال يا عبدالله ! . وابو سمال الاسدي ، اضلّ راحلة فالتمسها الناس فلم يجدوها فقال : والله لئن لم يردد عليّ راحلتي لا صلّيتُ له أبداً ! فالتمسها الناس حتى وجدوها فقالوا : قد ردّ الله عليك راحلتك فصلِّ ، فقال : إن يميني كانت صرّى » (أي قاطعة) .

هذا ، فلما أصبحت مصر ولاية عباسية استمتعت بما استمتعت فيه الاقطار الاسلامية من تسامح العباسيين مع النكاتين وأهل الملح والمجون والنوكى والمتنبئين .

وبطون الكتب تعج باخبار أبي العبر وأبي دلامة والجماز بل ان العباسيين زادوا فجرءوا عليهم النكاتين وأهل الملح ، وقصص ابي العيناء مع المتوكل يضرب بها المثل في الجرأة على الملوك .

واليك ما يوصف به المصريون في تلك العصور الوسطى

التي نتحدث عنها ، وهو بعض ما جاء في الرسالة المصرية لأبى الصلت أمية بن عبد العزيز ابن ابي الصلت الاندلسي الداني ، وكان قد قدم الى مصر في اواخر القرن الخامس الهجري ، قال :

« وأما اخلاقهم - أي أخلاق اهل مصر - فالغالب عليهم اتباع الشهوات ، والانهماك في الملذات ، والاشتغال بالترهات ، والتصديق بالمحالات ، وضعف المرائر والعزمات »

*

على أن المجتمع المصري يتكون من خليط من الامم ، واذا اجتمعت الامم في صُقْع تفتقت فيه أنواع من الذكاء والمكر والكيد والدهاء ، وتناقضت مظاهر المجتمع واختلفت ازياؤه وألوانه ، واذا تناقضت هذه المظاهر بعثت فى الناس نقائض في المشاعر والاحاديث من رضا وبغض وعجب وسخرية ، وما النكتة الا بنت هؤلاء . ولقد كانت مصر اكثر من اي بلد سواه محطاً لرحال الثورات البشرية والحوادث السياسية ، وابن خلدون يقول : « مصر بستان العالم ومحشر الامم » . ويرى جستاف لوبون ان الشعب المصري مكون من خليط من عناصر كثيرة نشأ عن أمواج الغزو واختلاط النسل فهو مزيج من أهل مصر الاصليين ومن الذين زحفوا عبر سيناء - وأخصهم السوريون - ومن الذين صعدوا من الجنوب ؛ ومن الاختلاط الذي نشأ من الغزو المتتابع عليها من فارس ويونان والرومان والعرب

والمماليك والترك والفرنسيين .

ويقول ابو الصلت أمية بن عبد العزيز : « واما سكان ارض مصر فأخلاط من الناس مختلفة الاصناف من قبط وروم وعرب واكراد وديلم وحبشان وأرمن وغير ذلك من الاصناف والأجناس على حسب اختلافاتهم . وقالوا إن السبب في اختلافهم والموجب لاختلاطهم اختلاط المالكين لها والمتغلبين عليها من العمالقة واليونان والروم والعرب وغيرهم » ثم يرجع ابو الصلت فيقول عن مصر في مكان آخر من رسالته : بعد ان ذكر مجد مصر القديم « وأما زماننا هذا فقد دثر منها كل علم وامحى رسمه وجهل اسمه ، ولم يبق إلا رعاع وغثاء وجهلة دهماء وعامة عمياء ، جلهم بل كلهم أهل رعانة ولهم خبرة بالكيد والمكر ، وفيهم بالفطرة قوة عليه وتلطف فيه وهداية له ، لما في أخلاقهم من الملق والسياسة التي أربَوا فيها على كل من تقدم وتأخر ، وخصوا بالافراط فيها دون جميع الامم حتى صار أمرهم في ذلك مشهوراً والمثل بهم مضروبا ، وفي خبثهم ومكرهم يقول ابو نواس :

فان يك باقي إفك فرعون فيكمُ
فان عصا موسى بكف خصيب »

وأنت ترى ان أبا الصلت قد تحامل على المصريين — مع انه لم يصلح له حال إلا بينهم — كما تحامل عليهما من بعده كلوت بك الذي ارتفع شأنه بعمله في مصر كذلك ،

ولكنك تستطيع ان تدرك من خلال كلام أبي الصلت ان المصريين متصفون بالطاعة والرقة وحسن المدخل على الامور كأنه شيء من السحر ، وهذا شيء نرتضيه ونقر عليه أبا الصلت ، وإن كان مفهوماً من خلال شتائمه وتحامله على المصريين .

هذا ، ولم تزل مصر أخلاطاً من أجناس شتى حتى عصرنا هـذا ، وما زال الشعب يتألف كما قال كلوت بك : من اقباط وعرب ويهود ويونان وأتراك وجركس وسودان ومن جاليات أوربية ومن كل البقاع .

*

ويُعدّ شكل المقاهي في مصر عاملاً قوياً في بعث النكتة ، فهي أماكن مكشوفة منبثة في الطرقات منتشرة في المدن والقرى والضياع الصغيرة ، وذلك لملاءمة جو مصر للحيـــاة الخلوية . ويتطرح الناس في عـــذه المقاهي في أوقات راحتهم – ما عـــدا البطالين فهم هناك دائماً – ويجتمعون ثلة ثلة على موائد اللعب وشرب القهـــوة والشاي والتبغ ، ويتسلّون حول ملاعبهم ومشاربهم تلك بمختلف الاحاديث وفي مقدمتها النكتة .

والمقاهي البلدية في المدن ومقاهي القرى كانت قـــديماً أماكن لالهاب مشاعر الناس بالقصص الحربية الحماسية ، الواقعي منها والخيالي ، لولا أن قضت على كثير منها المدنية الحديثة فضاع باغلاقها أو تحولها فنٌ كلامي من أمجد فنون الأدب المصري الشعبي .

النكاتون

ومعظم المصريين بارع في صوغ النكتة ، بارع في القائها ، بارع في الطرب لها والضحك منها ، بارع في الحكم عليها ، والبراعة نسبية بين الناس .

وفي ذلك يقول المحقق الكبير الاستاذ احمد امين : « وقديماً عرف المصريون بالفكاهة الحلوة والنادرة اللطيفة كما عرفوا بالاعجاب بها والجِدّ في طلبها والامعان في الضحك منها » .

يقولها الكبار والكبراء والصغار والاصاغر . وأقصد بالكبار شيوخ السن وبالصغار صغارها . وأقدر الصغار عليها المُنَشّئون في جواء مرحة بين آباء مرحين أو الذين لا يُحَد اختلاطهم بالناس وهم صغار ، وكثيراً ما تكون نكت هؤلاء خارجة جارحة .

أما الكبراء ، ومنهم من يشتغل بالاعمال العامة والامور الجدية فيلهيه عمله وجده عن الخوض في معترك النكتة والاصطبار عليها ، وانما لا تخلو هذه الطائفة من أن نعد للكثيرين

منها نكتاً طريفة في مناسبات يهدأ فيها الطبع ويصفو البال ، ومن هؤلاء أهل الادب الرفيع المثقفون ذوو الشعور الرقيق والاحساس الدقيـــق ، وبعضهم يعيش في خفض من العيش ودعة ، وبعضهم لا يهمه خفض العيش ودعته ما دامت اموره مقضية فيقعد هؤلاء وهؤلاء للنكتة كل مقعد حتى يسلس لهم قيادها وتذل لهم فيعدّوا من أصحابها .

وأما الاصاغر فهم أولاد البلد وأصحاب الادب المكشوف.

وأهل المدن في مصر لهم نكتهم اللطيفة الرقيقة الخاطفة ، وأهل القرى لهم نكتهم الثقيلة الغليظة الراسبة .

وقد تخصص جمـــاعة بعضهم من الكبراء ، في إرسال النكتة عفو الخاطر ، من أشهرهم في هذا العصر الشيخ علي الليثي ، وكان سمير العصر ونديمه ، ومحمد عثمان جلال ، وكان مطبوعاً على اجادة النكتة ، ومحمد البابـلي النكات البارع ، وحفني ناصف ، وكان أخف رجال الادب المصري الحديث روحاً وألطفهم نفساً وأسرعهم بادرة ، ومن بعد هؤلاء حافظ ابراهيم وعبد العزيز البشري وعلي الجارم ، والجارم كأهل رشيد يمتاز كما يمتازون بالنكتة اللاذعة .

وقد تخصص جماعة بالتأليف فيها واصدار الصحف لها . وهؤلاء قد يراسلهم افراد من الشعب تطوعاً للتسلية او حباً في الجوائز والهدايا التي يفوز بها السابق ، كما يُرى في الصحيفة المسماة باسم « البعكوكة » ، وقد امتدت المساهمة في نكت التراسل الى الاقطار العربية الاخرى ، ثم قلدت الاقطـــار

العربية مصر ، فاصدرت صحفاً شبيهة بصحف مصر الشعبية ، وفي مقدمتها لبنان وسوريا والعراق .

وهذه الصحف التي تخصصت للنكتة همّها ابتداع النكت اعتماداً على الخيال الفني او الخيال اللغوي لتثير الضحك وتستجلب عطف القراء ، ولو لم تقع حقائق النكت التي تصوغها في الحياة المصرية ، ولكنها تشتقها على كل حال من الظروف والملابسات التي تحيط بهذه الحياة . وانت أيها القارىء الكريم أفطن من أن يقال لك إن النكت التي تحاك حول غني الحرب لم يحدث منها كثير ولا قليل ، بل قل انه لم يقع منها حقيقة واحدة على الاطلاق .

وتعنى المجلات المصورة والصحف الاسبوعية والمجلات الشهرية الصادرة في مصر بالنكتة . وبعضها يترجمها عن اللغات الأخرى متى كانت مناسبة لظرف من الظروف .

وقد تخصص فيها كذلك جماعة يديرونها بينهم حواراً قد حفظ بعضه وارتجل بعضه الآخر في حفلات كحفلات السمر والاعراس البلدية والمواسم العامة ، وهؤلاء في الغالب من المتطرحين في المقاهي ودور اللهو يتصيدون النكتة ويقيدونها في أذهانهم ويرتبونها شُعباً شُعباً ، وأصنافاً أصنافاً ، حتى إذا دُعوا إلى حفلة استثاروا أذهانهم وتطارحوا ، فيقضون الليلة في قرص ولذع وضحك وقهقهة ، وهم يتقاضون على مطارحاتهم هذه أجوراً يفرضونها فرضاً على من يستأجرهم لاقامة هذه الحفلات . وتكثر في هذه المطارحات المهاترة والسخافة والبذاءة بحيث

لا يعود باقياً بين المتهاترين سبيل للحياء ، ولكنها لا تؤدي الى خصومة ما دام الامر احتراقاً ، وما دام الغرض ان يضحك جمهور المتفرجين بهم من الناس . وهؤلاء يسمون « ابناء النكتة » .

ومن العجيب انك ترى كثيراً من موظفي الدواوين قد خفّت عنهم الاعباء ، فلم يبق هناك ما يشغلهم عن تتبع النكتة واصطيادها ليفاجئوا اخوانهم في الديوان بكل طريف مبتكر ، واولئك يحفظون عنهم ليبلغوها ، وكأنما هم صحف الصباح تأتي كل صباح بخبر جديد . وقد أثارت هذه الحال نفس صديقنا الشاعر الاستاذ محمود غنيم فألف روايته الشعرية المسماة بـ « الجاه المزيّف » يزري فيها على سيئات هذه الطائفة المتفرغة للباطل والفراغ من الموظفين .

*

ويضيق بنا المقام لو اخذنا في حصر فئات النكاتين وافرادهم . وقد رأيت مما عرضناه عليك انه لم يقتصر قولها على السقّاط دون الفضلاء ، ولا على البخلاء دون الاسخياء ، ولا على المغفلين دون الفهماء ، بل الكل في القدرة عليها على سواء . وانما نتقدم بحسبة يسيرة تقرب الصورة الى القارىء فنقول :

انه لو فرض لكل مصري واحد نكتة واحدة في هذا الجيل الذي يبلغ تعداد افراده عشرين مليوناً من الانفس لحصلنا من النكت على عشرين مليوناً ، وهو عدد مخيف

ويفزع ويهول .

ونكتفي بضرب المثل لبعض نكت الكبراء وبعض نكت المتبذلين من حيث لا نخرج عن الآداب التي تفرضها علينا آداب المجتمع الفاضل .

فمن نكت محمد عثمان جلال :

انه كان مدعواً للطعام في دار محمد بك سكر الكتبي الاديب مع بعض اصحابه ، ولما استبطأوا الطعام دخل رب الدار الى الحريم ، وبينما هو كذلك سمع الضيوف دقاً بالهاون .

فقال بعضهم : ألا يزالون يهيئون الطعام ؟

فاجاب محمد جلال : لا ، دول بيكسروا راس سكر !

ومن طرائف البابلي :

انه كانت له عصاً كتبت عليها الحروف الاولى من اسمه M.B. فزاره أحد الثقلاء فرأى العصا فقال للبابلي : اعطني هذه العصا .

البابلي : ليست ملكي .

الضيف الثقيل : كيف وقد كتب عليها M.B. أي محمد البابلي ؟

فقال البابلي : لا ليس معنى هذين الحرفين محمد البابلي وانما معناهما مش بتاعتي !

وقد وقعت من شوقي بك نكت قليلة واليك مثلاً منها :

ذهب حافظ لزيارة شوقي فتقدمت اليه بالشراب ساقية جميلة فجعل حافظ يديم النظر اليها ويشتغل عن كل شيء سواها ، فلحظ ذلك منه شوقي فقال له : اوعى تكون اتعلقت في الساقية ! [الساقيه هنا : الناعورة]

أما حافظ والبشري فقد كانا في هذه الحلبة فرَسي رهان ، وهما دائماً يسبقان ، ومن نكت حافظ هاتان النكتتان :

كان حافظ يكره رجلا فدخل هذا الرجل مرة على حافظ في مجلس

من الناس ، ولاحظ الناس تأفف حافظ من وجوده ، وبعد برهة خرج هذا الرجل ودخل شاب فسلم عليه حافظ سلاماً فاتراً ، فسأل النـــاس حافظاً عن هذا الشاب فقال لهم : هذا ابن اللي آم ...

والثانية :

لما مات اسماعيل صبري شيخ شعراء مصر أقاموا له حفلة تأبين في مكان متسع ، ووفد الخطباء والشعراء ، وجاء عبد المطلب الشاعر بحماره وربط الحمار خارج المكان ، ثم بدأت الحفـلةوتوالى الخطباء والشعراء ، حـتى اذا جاء دور حافظ ووقف ليلقي قصيدته نهق حمار عبد المطلب وسكت حافظ ، فأطال الحمـــار النهيق ، فأطال حافظ السكوت ، فزعق الناس قائلين لحـــافظ :

جرى ايه ما تقول بقى؟

فقال حافظ : لما يسكت أخونا اللي بره !

ولقد رووا عن البشري نكتاً لا عدد لها ، منها :

انه كان يمشي في يوم شديد البرد ، وقد غطى رأسه بعباءة فقابله أحد اصدقائه في الطريق ودنا منه وتأمل وجهه حتى عرفه فقال له : الله هو انت الشيخ البشري ؟ والله انا باحسبك مرة !

فقال البشري على الفور : وانا والله كنت باحسبك راجل !

وسمعت انا البشري نفسه يحكي مرة في المذياع ويقول :

كنت قاضياً في « منية القمح » ، وذات مرة انتهت جلسة المحكمة ولم يبق أمام القطار الذي يقلني الى القاهرة غير دقائق ، سرعت نحو المحطة ثم لحقت بالقطـار وأنا ألهث وهو يهم بالسير تعلقت بحـديد إحدى العربات واستطعت ان أدخل رجلاً واحدة الى القطار ، أما الأخرى فقد جعلت أحاول إدخالها وانا لا أستطيع لثقلها ، وظلت هذه المحاولة مدة طويلة . فلما قرب القطـــار من « بنها » نظرت خلفي لأرى السبب فرأيت ماسح أحذية من « منية القمح » لا يزال يمسح لي الحذاء !.

ويشتهر علي الجارم بك أطال الله عمره بالنكتة اللاذعة

واليك مثلاً من نكته :

حين كان المفتش الاول للغة العربية بمعارف مصر دعا ذات مرة بعض الأساتذة ليختار منهم بعثة للتعليم باحد المعاهد اللبنانية ، فاجتمع المدعوون بمكتبه وأخذ يسأل وهم يجيبون عن أسئلته في حرص وحذر بالغين . إلا ان أحـدهم كان كثير الكلام حريصاً على الاعلان عن نفسه ، فقال له الجارم بك : في أي سنة تخرجت ؟

المدرس : في سنة كذا .

الجارم بك : وكم كان ترتيبك بالنسبة للمتخرجين ؟

المدرس : الثاني .

الجارم بك : أظن فرقتك لم يزد عددها عن اثنين !

ولعلك ترى معي ايها القارىء انها نكت دقيقة لطيفة وان كان بعضها لاذعاً قاتلا ، لأنها تصـدر عن رجال لهم مكانتهم في الرجـال ، وتصدر عن إحساس أدبي رفيع . وكذلك ترق النكتة من أمثال هؤلاء ، وترق كذلك اذا كانت في مجتمع عام وإذا كان موضوعها مستملحا ظريفا .

*

ولن نضرب المثل بنكت المجتمعات الخاصة التي رفعت فيها الكلفة بين الجلساء لانها تتحلل في كثير الاحيان من الآداب التي ضربتها التقاليد .

أما نكت الرعـاع والمتبذلين فانك لا تأمن « كساري الترام » ولا المتطرحين عـلى القهوات ولا صبيان الشوارع المحتشدين — لا تأمن واحدا من هؤلاء أن يقذفك بالنكتة ولو لم تربطك به صلة ، فاذا رماك بالنكتة فلا تضق بهـا ذرعاً بل ادّرع الصبر ولذ بالصمت ، أو ردّ عـلى النكتة

بمثلها فان غضبت او لمح على وجهك علامـــة الغضب فانك ستسمع ما يوجع .

وأكثر ما تشيع هذه النكتة الموجعة بين الطوائف الحرة ـ ان صحت هـذه التسمية ـ كطوائف العمال وطوائف بعض الطلبة ، وتقل في غيرهم ممن تضيّق عليهم التقاليد .

وقد لا تأمن الفتاة أن تفلت من النكتة إن كان لها من التبرج ما يلفت النظر اليها ، يرميها بهـــا بائع الفجل والفاكهي والقصاب فينادي بائع الفجل حين تمـر به قائلا : يا ورْوِرْ يا وورو ! (أي يا طري) ويقـول الفاكهي : يا سكري يا ناعم ! ويقـــول القصاب : يا لحم يا لحم ! وهكذا من حيث لا يستطاع أخذ واحد من هؤلاء بذنب ولا عقاب ، فانما ينادي كل واحد ليعلن عن بضاعته للناس .

ركبت الترام مرة خلف السائق وجلس بجاني آخرون فمر بنـــا الترام على مراحيض بالشارع فأوقف السائق الترام ونزل ليقضي حاجته وغاب قليلا ثم أتى .

فقال أحد الجالسين : ما تقولوا للشركة توزع عليكم قصاري ...

فشتمه السائق واشترك معه في الشتم الكمساري .

فقال الرجل : ما تزعلوش قولوا لهم يوصلوكم على المجاري !

*

ويخيّل إليّ أن الناس جميعـــاً بمصر يرسلون النكتة إرسالا ، حتى الخادم لا تترك سيدتها في المنزل دون أن تبادلها نكتة بنكتة ، وحتى المتهم يتبادل النكتة مع المحقق ومع القاضي ، كما يتبادلها الطالب والأستاذ ، ورجل الشارع

مع من يعرف ومع من لا يعرف ، وذلك أثر من آثار الانفعال النفسي الذي يبعث على الغيرة والاختراع كما يقول الفلاسفة وعلماء النفس .

ولما كانت مصر بستان العالم ومحشر الامم فان الذين يسكنون مصر من الغرباء والاجانب يتطبعون بطابع أهل مصر فتخف روحهم ويتعودون النكتة ، وإنك لتسمعها هناك من اليوناني والايطالي والتركي ، وقد تخرج من أفواه هؤلاء منحرفة عن العامية المصرية بعض الانحراف فتكسب بهذا التحريف حلاوة وحسناً جديدين .

ومن ألطف ما ذكر القدماء في هذا ما جاء في حسن المحاضرة عن تذكرة الصلاح الصفدي . قال : كان الشيخ تاج الدين الفزاري يقول :

إن الحكماء وأهل التجارب ذكروا أن من أقام ببغداد سنة وجد في علمه زيادة ومن أقام بالموصل سنة وجد في عقله زيادة ومن ومن إلى أن قال : ومن أقام بمصر سنة وجد في أخلاقه رقة وحسناً ...

موضوعهـا

•

لقد رمى المصريون بالنكتة كل أمر هيناً كان هذا الامر أو عظيما مبتذلا كان أو مقدساً جليلا ، ومن أملح ما رَوَوه : أن أميراً من امراء المماليك في مصر كان قـد انتزع من الناس منازلهم ظلماً وحراماً ، وبنى في مكان هـذه المنازل المنزوعة مسجداً وأطلق عليه اسماً ، فلم يعجب هـذا الاسم أولاد البلد العارفـين بحقيقة الحال واقترحوا أن يضعوا له اسماً فيما بينهم ففكروا وأعملوا البحث ، وأخيراً جاءهم بالاسم من شفاهم وأرضاهم إذ اقترح عليهم أن يطلقوا عليـه اسم « المسجد الحرام » .

ولا يفوتك أنهم أرسلوا هذه النكتة كما أرسلوا أمثالها في عصور أحاطت بهم فيها المظالم ، وأرسلوهـا لينالوا من ظالميهم ولم يبالوا ، فهم قوم لا تغيّر منهم الخطوب ولا تؤثر فيهم المظالم وربما استكانوا وأطاعوا ، ولكن الطاعة لا تقعد بهم عن اظهار غيظهم والنيل من ظالميهم ولو بالكلام ، وإن

كان ذلك – كما يقال – أضعف الايمان .

وموضوع هذه النكتة وأمثالها موضوع سياسيّ ، والسياسة محرّض شديد على النكتة . وها هي تلك الصحف والمجلات والكتب تمتلىء بالنكت السياسية حول السياسة وأصحابها .

ولعل أطرف ما حدث من النكت السياسية بمصر ابان الانتخابات الاخيرة هذه النكتة :

نازل الاستاذ توفيق دياب الاستاذ فكري أباظة في منيا القمح ، فادعى الاستاذ دياب في كثير من دعاياته الانتخابية أنه مؤيد بالوحي ليؤثر في جمهور الناخبين . فما كان من الاستاذ أباظة إلا أن رد عليه قائلا : يا ناس يا هوه ، كل المرشحين مرتاحين في دوايرهم ، إلا أنا لأنهم هناك ناس ضد ناس ، أما أنا هنا فضدي سيدنا جبريل !

وقد كان لهذه النكتة أثرها البالغ في الناخبين .. وفاز صاحبها في الانتخاب .

والمصريون لا يَدعون العظماء ولا الرؤساء دون ان يصلوهم بنار النكتة بل يرمون بها الموتى والآثار والصور والتماثيل .

وقد جعلوا لكل أمة من الامم ، ولكل جنس من الاجناس ، ولكل دين من الأديان ، ومذهب من المذاهب ، نكتاً وقوافي تشتق من بيئاتها وطبائعها وأخلاقها ومزاياها وأخطائها ، وكذلك هناك نكت للعميان والعرجان والخرسان . . .

وقد افتتح المصريون لكل فريق من ذوي المهن باباً ، فهناك نكت للمحامين والقضاة ، ونكت للاطباء والصيادلة ، ثم

للمدرسين والطلبة ، ولرجال الدين والصحافة والموسيقى ، ورجال الشرطة والجيش ، ثم للعمال والسواقين ثم للخـــدم والسجناء والسكارى والمجانين واللصوص والحشاشين ، ومن المستطاع أن يُفْرَد لكل طائفة من هؤلاء كتاب في نكتها .

وهكذا انتهبت النكتة المصرية في سبيلها كل شيء ، فان لم يجد المصريون موضوعاً لها خلقوه خلقـــاً . ويسمى ذلك عندهم « تَوْبَقَة » .

ومن أظرف الابواب التي ابتدعت في عصرنا الحـــاضر هناك باب آدم وحواء ، وباب القرد والانسان ، وباب الجيل الجديد ، ابتدعتها مجلة أخبار اليوم الذائعة الانتشار والـــتي تصدر الآن يوم السبت من كل اسبوع .

*

وأهم موضوع للنكتة ما كان ابن الساعة لأنه يلفت النظر ويشغل البال ، أما إذا كان مصطنعاً ليسدّ الفراغ في الصحيفة فقلما يأبه له أحد أو يفوح له عطر أو تذاق له حـلاوة .

ويعني المصريون بالنكتة الجديدة ويرهفون لها الاسماع . أما النكتة القديمة فيلقَوْنها لقاء بارداً . ولذلك ترى النكّاتين دائبي التفكير ليخلقوا من النكت كل طريف .

فالنكتة في مصر تساير الحياة فيها ، فعينها تقف رصداً لكل جديد يحدث في المجتمع المصري ، فهي تعبر عن الحياة في مصر سلماً وحرباً ، شبعاً وجوعاً ، أزمة وفرجاً فتصور لك تحوّل المال في الحرب إلى غير أهله ، ووقوع المناصب في

أيدي من لا يستحقها ، وتصور لك أزمة الخدم وأزمة الخبز وأزمة الفن وأزمات الاخلاق والعلم والاجتماع ، فكل موضوع يثيرها ، وهي تتعرض لكل موضوع .

أنواعها

•

والنكتة المصرية "شَعَب" وأنواع لا أستطيع ان أحصرها لك حصراً بحيث لا يفوتني منها شيء ، وانما قد أجهدت نفسي واجتهدت لعله لا يفوتني منها إلا أنواع قليلة . وحسب المجتهد ما استطاع ولو أخطأ ، واليك هذه الانواع :

١ . نكتة القافية

قد يكتفى بالنكتة الواحدة او النكتتين في الموضوع الواحد ، وقد لا يكتفى فتتألف حوله قصيدة ذات نكت كثيرة تقوم كل واحدة منها مقام البيت من القصيدة ويسميها اولاد البلد آفية (قافية) ، وتكثر هذه القوافي في المطارحات الشفهية او ما أشبهها من المكتوب . وانما سمّوا هذا النوع من النكت بالقافية لان كل واحدة منه موضع المعنى ومثار الضحك والطرب ، كما ان القافية في بيت الشعر تتركز فيها موسيقى القصيدة .

ولا يعجز المصريون أن يجعلوا لكل موضوع قافية ، وهو أمر سهل مع المران عليه ، فتلمّس لصاحبك غلطة ودُرْ حولها وانظر اليها من وجوه مختلفة ، والّف لكل وجه نكتة بالشروط التي قدمنا لك في أول الكتاب فانك ناجح لا محالة ، واليك مثلاً من هذه القوافي :

نشرت الاهرام خبراً مؤداه أنه قد سرق من السلطات البريطانية بالسويس حوالي ألف ساعة يد فعلقت البعكوكة على الخبر بالقوافي الآتية :

ساعة الحظ ما تتعوضش .
تقول السلطات البريطانية إن قلبها قبل السرقة كان (يدق)
علمنا أن الساعات التي سرقت من السلطات في السويس كانت في (الميناء)
قالوا إن الحرامي واد (داير)
حدثت السرقة من مخازن السلطات البريطانية في (ظرف) ساعة
علمنا أن الحرامي فتح المخازن بآلات (دقيقة)

وهناك صورة أخرى من هذه القوافي تقع على طريقة الحوار بين اثنين يتلقى واحد منهما الهجمات ويصليه الآخر بما يستطيعه ويلتزم كلمة « اشمعنى » ، حتى إذا فرغ تولى صاحبه الموقف وتقبل الثاني الهجمات واليك المثل :

قافية الطربوش :

الزبون : وشك
الطرابيشي : اشمعنى
الزبون : مقلوب .
الزبون : أنت راجل
الطرابيشي : اشمعنى

الزبون : جلده .

الزبون : أنت من زباينك

الطرابيشي : اسمعنى

الزبون : مكوي .

الزبون : زبونك يقول لك

الطرابيشي : اسمعنى

الزبون : ما فيش أحمر من كده !

٢ . نكتة القلب

وتحدث الدهشة في النفوس لرؤية أمر خطـــير أو عند الاقدام على شيء غير معتاد ارتباكاً فيقلب المتكلم حروفه ويقدم ويؤخر بين الكلمات . ويحكي المصريون في نكتة القلب التي تدعو الى الدهشة هذه النكتة :

مات لرجل اسمه الحاج حنفي ولد فأراد شاب أن يعزيه في ابنه ولكنه لم يكن يعرف أساليب التعزية .

فقالوا له قل له : يا عم الحاج حنفي شد حيلك ، فمضى وجعل يردد هذه الجملة في طريقه حتى لا ينساها . ولما وصل وتقـــدم للسلام عليه وشد على يده قال : شد حنفي يا عم الحاج حيلك !

وكما تحدث نكتة القلب من الدهشة على غير سبق بالاعداد تحدث بسبق النية عليها ، كما يفعل بعض المتظرفين الذين يمسكون بالجملة أياً كانت ويجعلون يقدمون ويؤخرون في كلماتها حتى يستوعبوا كل الصور اللفظية الممكنة ، فيقع فيها ما لا معنى له وما له معنى مضحك . واليك المثل في جملة : اركب

الحمار يا ربيع :

يا ربيع اركب الحمار ، يا ربيع الحمار اركب ، يا اركب ربيع الحمار ، وهكذا .

ومن نكت القلب ايضاً قلب الكلمة بترتيب حروفها ترتيباً مخالفاً ثم يتناولون بهذا القلب اسماء الاشخاص فمن كان اسمه توفيق صار قيفوت ومن كان اسمه رشاد صار داشر وهكذا .

٣ . النكتة الجنسية

والنكتة الجنسية هي اشيع انواع النكتة بمصر ، تتداولها الطبقات عامة ويقع التصريح فيها باسماء الهنات والسوءات في المجالس الخاصة او المجالس التي لم تتأدب بالآداب اللطيفة ولا نستطيع ان نضرب بها المثل هنا ، وذلك لأنها كثيرة مسموعة في كل أذن ، ولأنها تخرج عن حدود الآداب فلا يليق بنا ان ندونها .

ومن أسباب شيوع النكتة الجنسية خضوع البلاد للجو الحار كما يقول ابن خلدون ، ونشأة المزاج السوداوي كما يقول الاطباء . ومن اسبابها ذلك الكبت الجنسي الذي يفرضه المجتمع الشرقي على ابنائه ، فيروّح الناس عن انفسهم بالنكتة ، وقد أفرط فرويد فرد النكتة كلها الى الكبت الجنسي وليس على صواب ، فمن الاسباب ايضاً الاباحية الخلقية في بعض الطوائف فلا يتورع قائلو النكتة الجنسية ان يجعلوها من

أسباب لهوهم او اول اسباب اللهو . ومن اسبابهـا ايضاً الاستبداد فينفّس المكبوتون عن انفسهم بالنكتـة وانواع المجانة والخلاعة والالغاز والاحاجي .

٤ . النكتة الطائرة

ومن النكت المصرية نوع يقال له النكتة الطائرة ، وهي ان تخطر ببالك الفكرة ثم تهمّ بالنكتة فيسبقك اليهـا سابق من لمحات وجهك ونظرات عينيك . وهـذا النوع يحتاج الى نوع خارق من الذكاء . ويقول المصريون في من يحسن أن يجيد هـذا النوع « يفهمها وهي طايرة » . ويقول في ذلك أهل الشام : المصري جوابه من تمه ، والشامي جوابه من كمه ، وبقية المثل معروفة .

٥ . النكتة العملية

وكما تكون النكتة بالكلام وحده تكون بالعمل دون القول أو المقرون به ، وتكون حينئذ في حسن التخلص مثلاً أو في حركة تمثيلية تثير في نفس الرائين تشبيهاً أو استغراباً أو سخرية ، واليك مثلا منها :

رأى أحد الجالسين في مقهى رجلا آخر لا يعرفه ينام ، فقام اليه وصفعه على قفاه .

المضروب مذعوراً : ايه دا يا جدع انت ؟

الضارب : لا مؤاخذة دنا باحسبك علي !

ثم جلس الضارب وغلب النوم الآخر فنام فقام اليه وصفعه مرة ثانية على قفاه .

المضروب : ايه يا افندي قلة الحيا دي ؟

الضارب : اطلع بقه يا علي ! بقى انت مش علي !

واليك مثلا آخر وإن لم يكن مصرياً :

دخل ثلاثة من الاسكتلنديين البخلاء كنيسة يوم احد ، ثم مر القسيس بعد القاء الموعظة بين الصفوف لجمع الصدقات ففزع الثلاثة فزعاً شديداً واحتاروا ماذا يفعلون ، ولكن أحدهم زاد فزعه فأغمي عليه وسقط على الارض فحمله صاحباه وخرجا .

واليك مثلا آخر من نسج المصريين :

اقام أحدهم عرساً وجعل لمكان الحفل بابين كتب على أحدهما « للذين يحملون هدايا » وكتب على الآخر « للذين لا يحملون هدايا » ، فجاء واحد من المدعوين لا يحمل هدية ، فدخل بالطبع من الباب الثاني ، فرأى نفسه في الشارع !

ويجري مجرى النكتة العملية خروج العازف على آلة موسيقية من النغمة التي يعزفها الى نغمة لا تناسبها ولا تتصل بها خروجاً يثير الضحك او يبعث القلق ، وهو ما يسميه الموسيقيون « نشازا » ، وذلك إذا عزف النشاز أحد رجال الموسيقى بين المحترفين .

٦ . النكتة الرمزية

وقد ابتدع التصوير نكتاً صامتة تفهم من الرسوم ، إذ تعرض عليك أشخاص النكتة في سلسلة مختلفة الاوضاع ،

وما تكاد تمر عليها ببصرك من أولها الى آخرها حتى تدرك النكتة ، وهـذه إن اتضحت كانت من باب النكت وإن غمضت كانت في عداد الرموز ؛ ولعل هـذه النكتة منقولة عن الفرنجة ، وقد ساعد عليها فن التصوير .

٧ . النكتة المزدوجة

ومعرفة المصريين باللغات ومعاشرة أهلها منذ القدم قد أقدرهم على معرفة نكت الامم الاخرى ومقدار جودتها او فتورها ، فميزوا نكتهم عن نكت الامم وطبعوها ببيئتهم وميزوهـا بتصويراتهم . وتشيع بين جمهور المثقفين والعارفين باللغات من المصريين نكتة نصفها من العامية العربية ونصفها من لغة اخرى ، وقد رأيت ان أطلق عليها اسم « النكتة المزدوجة » . ومن أمثلتها ما قصصته عليك من قبل في عصا البابلي وأحد الثقلاء .

٨ . النكتة الخيالية

وهناك ايضاً ما يصح ان نسميه « النكتة الخيالية » ، وذلك ان تكون قصة النكتة بين حيوان وإنسان كما بين القرد وابن آدم في البـاب الذي أنشأته حديثاً مجلة أخبار اليوم في مكان الباب الذي كان معقوداً لآدم وحواء . ولعل الباعث على فتح هـذا الباب المشابهة الكثيرة بين القرد والانسان القبيح او بين القرد والانسان في نظرية نيتشه . وحلاوة النكتة فيه ان القرد هو الذي يتكلم فيلقي النكتة ،

ولعلك تطلع في كل أسبوع على مجلة أخبار اليوم فتفوز منها بنكتة أسبوعية في هذا الباب . واليك المثل :

القردة لزوجها وقد وقفت امام القفص امرأة قبيحة : أهي دي كانت معايا في المدرسة !

وكان من باب الخيال ما كان يتصور بين آدم وحواء مما كانت تورده صحيفة أخبار اليوم . ولست أدري لم أغلقت هذا الباب الطريف .

ومن باب الخيال أيضاً باب الجيل الجديد . والباعث عليه ما أصيب به شباب هذا العصر وصبيانه من الادعاء الكاذب فدعا ذلك الى المبالغة ونقل هذا التصوّر إلى الأطفال الذين أطلق عليهم اسم الجيل الجديد ، واليك المثل :

الطفل لزميله : امبارح عرضوا علي الوزارة !
الطفل الثاني : والله أنا ما رضيتش أقبلها !

٩ . النكتة المربدية

وهذه تسمية لطيفة ستعرف سببها قريباً ، وهي أن يمسك أحدهم بصحيفة يومية ويقرأ سطورها قراءة عرضية متخطياً أنهرها ، فيقع له في القراءة من سقط الكلام ما يثير الضحك ، إذ تأتيك القراءة على هذه الحال بمعان مختلفة بعضها تام وبعضها ناقص ، ومتصل ومنفصل ، لا صلة بين أجزائه ، فتكون النكتة فيه شبيهة من قرب أو من بعد بما يسميه أهل البديع بالافتنان .

وقد سمّيْتُ هذا النوع بالنكتة المِرْبدية جرياً على تسمية بعض الالفاظ بالألفاظ المربدية في القرن الثالث عشر الهجري :

حدّثنا أحمد تيمور باشا في كتابه : « أعيان القرن الثالث عشر » عندما ترجم لحسن عبد الباسط قال :

« كان يجتمع الادباء والشعراء فيسمرون معاً ويحيون الليالي بالمذاكرة وإنشاد الشعر واتفقوا على تسمية مجلسهم بالمِرْبد تشبيهاً بمربد البصرة القديم ، وألا يقبلوا به أحداً إلا إذا ارتضوه جميعاً ، فكان المترجم له ممن رضوا به أن يكون من شعراء المربد ، وكانت تمر عليهم ليال يقترحون فيها ارتجال الشعر ويعيّنون عـــدد الابيات والوقت الذي يجب نظمها فيه ، فكان أحدهم إذا تعذرت عليه قافيـــة وأعجله الوقت ارتجل كلمة لا معنى لها أو لها معنى لا يوافق السياق وتمّم بها البيت ، فاجتمعت لهم من ذلك ألفاظ غريبة مضحكة سموها بالألفاظ المربدية .

ويجري هذا المجرى القوافي التي كان يصطنعها « الشاعر اياه » بصحيفة الكشكول وما أشبهها من صحف النقد الهازل فيخرج فيها عن المقاييس اللغوية ويخلق لها المعاني خلقاً .

ومما يلحق بهذه النكتة نكتة المُعجم التي يصطنعونهـا مرتبة على حروف الهجاء ترتيبها في معاجم اللغة ، ثم يخلطون في الكلام خلطاً مضحكاً ويحتجون لما قالوا بابيات من الشعر يصطنعونها اصطناعاً وينحلونها لشاعر قديم حتى تأخـذ صورة الجِدّ ، ولا ضير أن يكون الشعر مكسوراً ، واليك المثل :

الهمزة مع القاف وما يثلثها : أرق : الارق هو السهر لطالب النوم ، وسببه لا يعرف أو التفكير أو الاكل أو الجوع أو النوم في اللوكاندات التي لا تخضع لتفتيش الصحة قال بشار :

طـــال ليلي ولكن لم أنم ... ونفى عني الكرى بق هجم
كنت سهران وحولي أورطة ... من جيوش البق جابت لي الورم
أسهر الليـــل وأقضي وقته ... أضرب الارض بآلاف الصرم

١٠ . بنت الحرفة

وأهل الحرف في مصر يصطنعون من اصطلاحاتهم وأسماء آلاتهم نكتاً يستخدمون فيها المعاني المشتقة من حرفهم ، أو يضع الناس عنهم هذه النكت مستخدمين أطراف بيئتهم وألفاظهم الخصّيصى بهم كأن يكتب أحـــدهم رسالة الى صديق له فيقول :

حبك في قلبي زي المسامير ، وذكرياتك بتنشر في قلبي زي المنشار ، وأنا واقف دايماً أمام صورتك زي اللوح فمتى القدوم ؟

فهذه حرفة النجارة وتلك الصور مشتقة منها ، وكذلك يؤخذ من حرفة الحدادة وحرفة الصياغة وكل الحرف ، وقد عنّ لي أن أسمي هذه النكتة « بنت الحرفة » فهذه التسمية قريبة من ألفاظ اولاد البلد وأبناء النكتة .

١١ . النكتة البايخة

واذا لم تنجح النكتة فتضحك السامعين او تعجبهم ، وذلك لقدمها او لتفكك أجزائها وضعف روابطهـــا ، او

لسوء ترتيبها او لضعف القائها عدت فاترة ، ويسميها اولاد البلد النكتة البايخة ويقولون لصاحبها ليخزوه : بايخة !

وأجدر الناس بهذه النكت الثقلاء الذين يدسون أنفسهم فيما لا تستطيع جِبلاّتهم ان تقبله ، ولكن لعلنا لا نكره الثقلاء ولا نأنف ان نسمع من الدخلاء نكتهم ، فربما كان دخولهم هذا الميدان نكتة أخرى .

وإياك ان تظن أن النكت البايخة لا قيمة لها ، فللنكتة البايخة سوق نافقة بمصر أي نَفاق ، وكأن المصريين حين ييئسون من إجهاد الفكر في تأليف النكت الحارة الحامية يلجأون الى النكت الفاترة البايخة يثيرونها ، وكلما زادت درجة النكتة نحو الفتور ازداد السامعون ضحكا منها ، فهم يتسنون ويضحكون طولا وعرضاً ، وطرداً وعكساً .

وهاك بعض أمثلتها :

(١) راح فلان يقعد على قهوة آم قعد على شاي !

(٢) أحدهم لصياد : إنت بتصطاد ؟

الصياد : لأ ، دنا بصطاد !.

(٣) أحدهم : إنت مسافر ولا إيه ؟

الثاني : أنا إيه !

(٤) الأول : يالله كل واحد منا يقول نكتة بايخة واللي تكون نكتته بايخة يكون أحسن .

الثاني : طيب ، واحد، اثنين ، ثلاثة .

الاول : وإيه يعني دي ؟ أنا أقول أبوخ منها : واحد ، اثنين ، ثلاثة .

الثاني : طيب ما هي دي نكتتي .

الاول : لأ ، الثلاثة بتوعك غير الثلاثة بتوعي ...

تاريخها

●

تاريخ النكتة المصرية هو تاريخ الشعب منذ أقدم عصوره الى اليوم . فالشعب المصري له نكتته منذ ازدحمت القرى على ضفاف نهرنا العظيم ، ومنذ كان لشعبنا لغة ينطق بها .

وليس هنا كبير جدوى ولا صغيرها في أن نبحث عن النكتة المصرية بلغة غير العامية العربية أي يوم كانت لمصر لغات قديمة غير العربية ، وحتى لو عثرنا على نكتة بلغة الشعب القديمة لما افادتنا في بحثنا شيئاً كثيراً .

ولذلك نرانا مضطرين ان نثب وثبة تاريخية كبرى لنتكلم عن تاريخ النكتة المصرية منذ صارت مصر تتكلم العربية ، ومنذ صار شعبنا شعباً عربياً تداخل عربيته لحون أعجمية فتصير له دارجة تمتاز عن كل دارجة في بلاد العرب .

ولقد ساقت الآثار القديمة وساق بعض من أرخوا لمصر القديمة والوسطى أمثال جوستاف وجاردنر — ساقوا الامثلة على ان مصر ما كانت تنسى فرحها في يوم من الايام . والذي

يهمنا من دلالات الآثار واقوال المؤرخين انه مع كثرة المغيرين على مصر ، ومع اضطراب أحوالها في الحروب الكثيرة التي انتصرت او قهرت على امرها فيها - لم تستطع أمة من الامم أن تمحو شخصية مصر او تبدّل من طباع المصريين مهما اصاب مصر من الجور او ضياع السلطان .

ويهمنا ان نعرف ان النكتة المصرية ظلّت تتحدّر من فم ذلك الشعب طول حياته لأن الأسباب الطبيعية التي تثير النكتة ثابتة لم تتزحزح ، وان الطبيعة غلبت كل طارىء وردته ناكصاً على أعقابه .

*

أما مصر في العصر العربي فأقدر منها على النكتة في أي عصر آخر لطبيعة اللغة العربية التي اتسعت لهذا الفن واشباهه اتساعاً عظيما ، لا أحسب ولا يحسب معي احد من العالمين باللغات ان لغة قد انتهت الى ما انتهت اليه اللغة العربية في هذه الفنون من مُلَح الكلام .

وقد نقلت اليك من قبل إشارة أحد مكاتبي التيمس الى قدرة المصريين على لغتهم وتمكنهم منها . وانقل اليك الآن ما يقوله كاوت بك في هذا الصدد ، قال :

« يميل المصريون بفطرتهم الى المجون والمطايبة ، وهم كثيراً ما يبنونها على النكتة ولا غرابة . فاللغة العربية التي بها يتفاهمون تساعد على التورية والجناس والتحريف والتصحيف والكناية الى غير ذلك مما ينمقون به الحديث ويكسبونه

ما يرتفع له حجاب السمع وتشتاق إليه النفس » .

*

ولم تخل مصر في عصر من عصورها العربية من النكتة والنكاتين ، وقد حدّث البلوي في تاريخه عن ابي نصر المجنون مع ابن طولون ، وحدث ابن شاكر عن اكثر من واحد ، وحدث السيوطي في حسن المحاضرة عن صريع الدلاء الشاعر الماجن البغدادي المصري الذي صنع مقصورة ماجنة يعارض بها مقصورة ابن دريد يقول فيها :

من طبخ الديك ولا يذبحه طار من القدر الى حيث انتهى
من شرب المسهل من اجل الدوا أطال ترداداً الى بيت الخلا
من دخلت في عينه مسلة فسلّه من ساعته كيف العمى
والذقن شعر في الوجوه طالع كذلك العقصة من خلف القفا

وقد حدث الحصري القيرواني عن سيبويه المصري وحدث عنه كذلك الاستاذ احمد امين بك .ثم جاءنا القرن السابع الهجري بأبي الحسين الجزار جمال الدين يحيي الشاعر الماجن الذي يقول :

سقى الله اكناف الكنافة بالقطر وجاد علينا سكراً دائم الدر
وتباً لاوقات المخلل انها تمر بلا نفع وتحسب من عمري

ثم أتحفنا الجبرتي في تاريخه بحديث طلي عن شخصية فكهة تمت الى النكتة باوثق الاسباب هي شخصية الشاعر الثائر اللبيب عامر الانبوطي فقد كان شاعراً مفلقاً هجّاء ، لهيب شراره محرق ، كان يأتي من بلده إلى مصر القاهرة

يزور العلماء والأعيان ، وكلما رأى لشاعر قصيدة سائرة قلبها معنى ووزناً وقافية إلى الهزل والطبيخ فكانوا يتحامون عن ذلك ، وكان كثيرون من المشايخ الشعراء يكرمونه ويكسونه ويجيزونه لئلا يقلب أشعارهم .

نظم عامرٌ هذا ألفية الطعام المشهورة يعارض فيها ألفية ابن مالك في النحو ، وقد ذاعت الألفية الطعامية وشاعت حتى بين أوساط النحويين للتفكه بها وأول هذه الألفية :

يقول عامر هو الانبوطي احمد ربي لست بالقنوط

ومنها :

وأستعين الله في ألفيه مقاصد الأكل بها محويه

فيها صنوف الأكل والمطاعم لذت لكل جائع وصائم

ومنها :

والأصل في الأخباز أن تقمرا وجوزوا التقديد إذ لا ضررا

ولعامر هذا معارضات طبيخية للامية العجم ولامية ابن الوردي ، وله شعر عامي وأزجال كثيرة في الطبيخ .

ولناقد أن يقول إننا حين عرضنا لهؤلاء الشعراء لم نعرض فيهم للنكتة وليس ما عرضنا من موضوع كتابنا ، ولكننا أحببنا أن نشير إلى سيبويه المصري وعامر الانبوطي وأمثالهما لندل بهم على ان البيئة المصرية قد قبلت أمثالهما وفرحت بهم في عصورها الوسطى وجعلت لهم شأناً في عداد الرجال الذين يهتم بهم ويؤرخ لهم ، ولأنهم يمتون جميعاً إلى النكتة بسبب وثيق .

أضاءت شخصيات هؤلاء المزاحين والنكّاتين تلك الضلالات البعيدة البهيمة التي خيمت على مصر في العصور الوسطى . وقد رجع فضل إشعال هذه الاضواء أمامنا لأولئك المؤرخين الأفذاذ الذين نقلوا لنا شيئاً من كل شيء فأغنونا وأرشدونا إلى الطريق ، كالبلوي وابن شاكر الكتبي والحصري والجبرتي وأحمد تيمور . وقد أحسن الجبرتي كل الاحسان إذ لم يعفّ عن تدوين أنواع كثيرة من الأدب الشعبي كان لها فضل كبير على الرافعي في كتابه « تاريخ آداب اللغة » ، ولكن الجبرتي عف عن تدوين النكتة الشعبية المصرية لأنها ليست من مطالبه ، وليتها كانت له مطلباً ، بل ليت كثيراً من المؤرخين دونوا لنا أمثالا من النكت المصرية الشعبية في كل العصور .

*

أما النكتة المصرية في عصرنا هذا فقد مهّدَتْ لها المطبعة أن تدوّن وأن تخلد ، وأذنت لها الآراء الحديثة أن تُدرس وأن يكون لها مقام بين الآداب التي تدرس للشعوب ، وقد كنتُ أنا ممن سعدوا بالادلاء في هذا الباب بهذا الكتاب .

*

بعد أن غزت مصرَ مطبعةُ نابليون وأقبل الناس على تدوين آدابهم وطبع كتبهم واتجهوا إلى الصحافة وتوسيع مهمتها والوصول بها إلى أكبر عدد من القراء رأوْا عليهم لزاماً الاهتمام بالرأي العام ولغة الجماهير فسهّلوا من لغتهم

وقربوها من سواد الناس ، ولكن ذلك لم يكف ولو كفى في أي بلد آخر فانه لا يكفي في مصر بلد المرح والسرور ، فرأى الكتاب وقادة الاصلاح أن يصلوا إلى الجمهور من لغته وفنّه وذوقه فسلكوا سبيل الصحافة الهزليـة ، وإن كانوا قد أرادوا بها أول الأمر جداً ونفعاً .

ولقـــد يروعك أن تعرف أن أول من فكّر في ذلك وعمل على تحقيقه رجال أفذاذ هم جمال الدين الافغاني والاستاذ الامام محمد عبده والكاتب البارع يعقوب رفائيـــل صنّوع الذي اشتهر بأبي نضّارة .

اتفق هؤلاء الثلاثة على إصدار صحيفة عربية هزلية لنقد أعمال الخديو اسماعيل ، وأوعز جمال الدين إلى يعقوب صنّوع في اختيار عنوان للجريدة ، فخرج يعقوب يبغي بيته باحثاً عن حمار يركبه فتجمّع حـوله أصحاب الحمر ، كل يريد أن يؤجّر له فأحب التخلّص منهم ، فصار كل منهم يناديه قائلاً : ياعم يا ابو نضارة ، وكان يلبس حين ذلك نظّـــارة زرقاء يقي عينيه بها من وهج الشمس ، فرنّ هذا النداء في أذنيه واستحسن العبارة وصمم على اتخاذها اسما للصحيفة .

فلما حكى الامر لجمال الدين أغرق في الضحك واستحسن هو كذلك الاسم . ثم صدر العدد الاول من الجريدة في سنة ١٨٧٧ ، وتعدّ « أبو نضارة » أول الصحف الهزلية عند جميع الناطقين بالضاد ، ويعدّ يعقوب هـذا أول من استخدم القلم الدارج عند عامة المصريين في الكتابة .

ثم تبعه كثير من الكتّاب الذين أنشأوا صحفاً بالقلم الدارج . وفي الحق إننا مدينون بتدوين نكتتنا وأدبنا الشعبي لرجل مصري يهودي . ومن الانصاف أن يقال : انه لم يقصد الا منفعة وطنه ولا سيما أنه يشترك معه في الفكرة والعمل رجلان عظيمان هما محمد عبده وجمال الدين ، ولم يكن لهؤلاء مقصد من النفع كما حدث بعد ، فقد فتحت هذه الفكرة السبيل لمن سلكوها بعدهم الى الثراء والنفع حينما أصدروا صحفاً بلغة الشعب الدارجة .

*

وفي عصر توفيق أصدر السيد عبدالله نديم جريدة التنكيت والتبكيت واسمها نص في موضوعنا هذا الذي نتحدث عنه ، وكذلك أصدر جريدة الاستاذ وكانت مجلة علمية أدبية خلقية للوعظ والارشاد بطريقة القصة والحوار ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قِبله العذاب ، وكذلك أصدر جريدة الطائف .

وكان السيد نديم نادرة عصره وأعجوبة دهره في فنون الأدب الشعبي ، وهبه الله ملكه عجيبة وذكاء مفرطاً وزاده تنقله بين النعيم والبؤس وبين البؤس والنعيم وبين يافا والشام ومصر نبوغاً وطلاقة لسان وخفة روح وقدرة على الارتجال . ومجلة الاستاذ حافلة بطرائفه ومبتدعاته مما تعجز عنه الجماعات . وقد خلف وراءه جزءاً من « كان ويكون » ، وكتاباً نسبوه اليه اسمه « المسامير » قد حشي بالهجو القبيح في الشيخ أبي الهدى الصيّادي نزيل دار السلطنة وشيخ السلطان عبد الحميد .

ثم صدرت في عهد الخديو عباس وبعده حتى يومنا هذا صحف كثيرة للنكتة منها « حمارة منيتي » و« الارنب » و« المسامير » و« السيف » و « اياك » و « المشنقة » و « الخازوق » و « الصاعقة » و « الكشكول » و « الفكاهة » و « المطرقة » و « البعكوكة » .

وجريدة البعكوكة هي جريدة العصر ، وحبذا لو قرأها القارىء الممتاز مرة بعد مرة ليطلع فيها على أنواع من الادب الشعبي الذي نفقت سوقه عند الجماهير ولا سيما الجمهور المصري.

ويشارك البعكوكة في ايراد النكتة كثير من الصحف الاسبوعية ولا سيما الصحف المصورة كاخبار اليوم وآخر ساعة وروز اليوسف والاثنين والمصور ومجلة الجيب والراديو.

وتتجه الفكاهة في هذه الصحف الى ناحيتين منها ناحية راقية سامية ، ومنها ناحية هزلية دنيئة تؤثر في الاخلاق والآداب ، وتعكر صفو الحياء ، ويعم بها الفساد ، ويجرؤ الناس عليه .

وكلما سما شأن كتابها عفت النكتة ولطف مدخلها . وكلما انحط شأن الكتاب انحطت النكتة وأسفّت وأساءت الى الصحافة والصحفيين .

بلاغة النكتة

●

ان البحث العلمي اللغوي بحث يشق دائماً على النفس حتى في الاوساط التي تتخصص له فما بالك إذا اعترضنا به موكباً من الضحك وتياراً من السرور ؟ إنه يكون حينئذ أشق وأجهد ، ولكنا على اضطرار لان نرضخ لحكم الصنعة مرة أخرى في هذا الكتاب ، اذ لا بد من ان نتكلم عن نواة النكتة وقوامها في اللغة ، والكلام في هذا أجف الاحاديث في موضوعنا ، ولكنا سنخفف من حدته ونطرّي من جفافه بالأمثلة ليكون بين الخطوط القاسية آماد للراحة والسرور ، فصبراً قليلا !

إن من النكتة ما هو لعب بالالفاظ والاوضاع ، وأكثر ما يعتمد هذا على فنون من بلاغة القول ، تلك الفنون التي تدرس جافة مختلطة بالمنطق الجاف لا تتعدى الحياة النظرية ، والتعقيب على بلاغة الاوائل من فصحاء الادباء في فصول الدراسة ، اما الحياة العملية فهي تتجانف عنها

وتزور وتميل ، وما البلاغة الا قوام الحياة الادبية الصانعة والناقدة كما يقول أصحاب فنّ القول .

حقاً إنه لم يعن بلد عربي بدراسة البلاغة العربية في عصرنا الحاضر والعصر الماضي أكثر من عناية مصر بها ، ولكنها كانت مع هذه العناية دراسة عدد قليل من العلماء لانواع قديمة من الكلام لطائفة خاصة من الفصحاء الممتازين ، فهي دراسة مقيدة بطائفة معينة من الامثلة والتعاريف على طرق خاصة لا تتعداها ، فلما تحسنت طرق التدريس في مصر بمعرفة أساليب الغربيين فيها ، ولما تفتقت أسباب العلم وانفتحت مغاليقه اهتم المؤلفون والمدرسون بالناحية التطبيقية العملية ، وجددوا الامثلة واكثروا منها وسهلوا التعاريف وخلصوها من بعض ما يشوبها من التعمية والاغلاق الفلسفي ، ولكنهم مع ذلك يقدمون بين أيدي بعض المثقفين والمتعلمين طوائف قاسية من الشعر والنثر لانهم مقيدون بدراسة الادب الفصيح ، وكم سمعنا من طلاب العربية بكاء وعويلا إبّان الامتحانات المدرسية من استغلاق المعاني عليهم مع عناية الممتحنين بالتخفيف وبذل الجهد الكبير في التوضيح .

وبقيت طائفة واحدة من الموهوبين هي وحدها التي تقدم بين أيدي الطلبة أمثلة من البلاغة التي يرتجلها ابن الشارع ارتجالاً في الادب الشعبي ، ويستعينون هذه على تلك ليسهل الادب الفصيح وتستبين فصاله وتتضح أغراضه ، ولا سيما على الناشئين .

ولا بدّ بعد هذا من الرجوع حيناً إلى جفاف المنطق وبعض التعريفات الاصطلاحية فما كل مَرْكب يسير بك إلى الغرض يكون متناً ذلولا .

تتخذ النكتة في الادب الشعبي فنوناً من البلاغة مركباً ذلولا لها ، تَرْكبه في يسر وسهولة ، ولعلها تعتمد على ما نعرف من فنون المعاني والبديع والبيان ، وملعبها اللاعب ومركبها الفـــاره تلك المغالطات المنطقية والمفارقات التي تحدث هوّة ذهنية فلا ترتبط بعدهـا الاسباب بالمسببات ولا العلل بالمعلولات ، والمتعلق منها باللفظ أدنى أنواعاً من الذي يتعلق بمفارقات الحياة وملكات الأنفس . ويقـــول الأستاذ العقاد حين تعرض لدراسة حفني ناصف ، « إن من النكت ما هو فطنة لنقائض النفس البشرية ونفاذ إلى مكامن الشعور وحيل العواطف التي تتوارى بها خلسة أو تحـاول الظهور للعيان في غير مظهرها الأصيل ، وهذه هي نكت الشاعرية بل نكت الملكات النفسية التي يقام لهـــا وزن في موازين الفنون والادب » .

*

ومن المستطاع إرجاع الاستعارات والكنايات الى دلائل التصورات المنطقية التي قسّمها المنطق إلى :

١ – دلالة طبيعية وهي ما توقف وجودها على وجـود المدلول لارتباطهـــا الطبعي به كدلالة الثمرة على الشجرة ودلالة الابن على الأب .

٢ – ودلالة وضعية وهي ما اصطلح عليها البشر دون ان يكون هناك رابطة بينها وبين المدلول كدلالة الشارة السوداء او البيضاء على الحداد ، ودق الناقوس على المدرسة والكنيسة وسير القطار او قرب وصوله ، وصوت الزمارة على ترام القاهرة او احتفال الصبيان بالعيد .

٣ – ودلالة رمزية او استعارية وهي ما يفيد وجودها معنى آخر دون أن يكون بينهما ارتباط كدلالة النمر على الشراسة والذئب على الغدر والنعامة على البلاهة .

فاذا حدثت مخالفة واحدة من هذه الدلالات الطبيعية او الوضعية او الرمزية بعثت هذه المخالفة هوّة ذهنية تحدث العجب وتثير الضحك ، وما هذه الا النكتة او ما النكتة إلا من هذا !

*

ولنفصل بعض التفصيل بعد هذا الاجمال لنصل النكتة من قرب بفنون الكلام :

تعتمد النكتة ، في قلة ، على سوء التعليل او التشبيه المستقبح في النكت اللاذعة ، واعلها تعتمد في كثرة على التورية والكناية ، وبين التورية والكناية نسب وصهر كما يعلم أهل اللغة والعارفون بالبلاغة .

وترق النكتة في باب التورية والأيهام واحتمال الضدّين اذ يكون ذلك مقيداً بالفاظ خاصة لكل لفظ منها معنيان لغويان ، ولكنها قد تدق وتسمح او تظهر وتفتضح في

باب الكناية .

واكثر ما ترد الكناية مكان اللفظ القبيح لتلطف في السمع ولا تخفى على الفهم ، ولكن ليس ذلك في كل موضع ، فهناك من المواضع ما يجب فيه التصريح والافحاش إن لم ينفع الا التصريح والافحاش ، ولا سيما ان كانت من صنف النكت الجنسية ، إذ لا ضرورة لان يكون هناك قيود في هذه النكتة الا ما يتجه اليه خاطر المتكلم .

ومما يجري مجرى الكناية او هو جزء منها ذلك الشيء المسمى بالتلميح ، وهو لمس النكتة لمساً وترك بقية المعنى للسامع يكمله في نفسه . والتلميح مسلك من أدق مسالك النكتة وأخفاها على السماع وأوجعها في النقد والتجريح ، وهو بلوغ بالنكتة درجة كبيرة من الفن والجمال ، ولا يدرك التلميح إلا من ارتقى ذهنه وصفا ذوقه ودق قياسه ، واليك مثلين من التلميح :

(١) الأب : كيف أمضيت الامتحان اليوم ؟

الابن : يا بابا ، آداب المائدة تقضي ألا نتحدث الا في موضوعات مفرحة .

(٢) اصطحب اربعة من اجناس مختلفة فيهم يهودي ، وتواصوا على ان يأكلوا كل يوم معاً وجبة الغداء في احد المطاعم . واكلوا فدفع الاول في اليوم الاول ودفع الثاني في اليوم الثاني ودفع الثالث في الثالث وفي اليوم الرابع قتلوا اليهودي .

*

وتكون النكتة من المغالاة . والمغالاة انواع كثيرة كالمغالاة في الاعتداد بالنفس والكبر بها الى حد البلاهة ، أو المغالاة في الكذب ، او المغالاة في السخرية والتهجين ، او المغالاة بالتساهل في المؤاخذة على كبائر الذنوب ، او المغالاة في تحلية الشيء وترويجه .

ومن المغالاة في الاعتداد بالنفس نكت اولئك الذين حدثتك من قبل ان الحجاج بن يوسف كان يريد التقرب بدمائهم الى الله ومنها :

استخدم غني حرب خادماً واستدعاه لاول مرة ليسأله عن اسمه ، فلما مثل الخادم بين يديه قال له : ما اسمك ؟

الخادم : عبد الغني .

غني الحرب (بعد تفكير طويل) : الله ، ازاي وانا مش فاكر اني اشتريت عبد قبل كده !

ومن لاذع النكت التي نسجت حول المتكبرين هذه النكتة :

ركب احد المتكبرين ترماً وجلس منفوخاً وكان يلبس بدلة جديدة ، وفي منتصف الطريق ركب بجواره رجل فقير فجعل الفقير يتأمل المتكبر وينظر اليه ، وعلى حين التفاتة رأى الفقير قملة تمشي على صدر المتكبر .

فقال الفقير : يا بك ، حوش ، قملة ماشية على صدرك !

فرد المتكبر متعاظماً وقال : سيبها ، أنا اللي حاطها !

ولا ضرورة لضرب المثل بنكت المغالاة في الكذب لان

هذا يؤذي الناس جميعاً اذ هم جميعاً صادقون !

أما المغـــالاة في السخرية والتهجين فاليك مثلا لطيفـاً طريفاً .

نال أحد الطلبة شهادة البكالوريا وطاف يبحث عن وظيفة فـلم يجد . وذات مرة مشى امام حديقة الحيوانات وسأل بواب الحديقـة عن شغلة فقال له البواب : كان عندنا أسد ومات فسلخنا جـلده ، ونريد واحداً يلبس هذا الجلد ويقف في القفص علشان نلم عليـه الفلوس ، فقبل حامل البكالوريا الوظيفة ولبس الجلد ودخـل القفص وصار يمثل الاسد ، وفي يوم من الايام ثار اسد آخر كان في قفص مجاور له وزأر وزمجر وكسر الحديد الذي بينه وبين الاسد الصناعي ودنا منه غاضباً زائراً فخاف الاسد الصناعي وكش وانزوى فلما رآه الاسد الثائر قد صار على هذه الحالة من الذعر سكن عن غضبه وخفف من هياجه وقال له : ما تخـافش ، دنا الآخر واخد بكالوريا زيك !

اما المغالاة بالتساهل وعـدم الاكتراث بالكبائر فمنهـا النكتة الآتية :

احد الرجال : حاسب حاسب ، سيدة وقعت من الترام !

الكمساري : معلهش معلهش ، دي دفعت ثمن التذكرة !

ومن المغالاة في الاعلان والتحلية النكتة الآتية :

صاحب الاجزاخانة وقد أمسك بزجاجة دواء : هذا الدواء يزيد عمر الذي يستعمله ٢٠٠ سنة زيادة عن عمره ، وانا استعمله دائماً وقد بلغ عمري الآن ٣٠٠ سنة .

احد الزبائن لمساعد الاجزاخانة مستغرباً : صحيح عمره ٣٠٠ سنة ؟

المساعد : وانا أيش عرفني ، انما باشتغل معاه بقالي ١٠٠ سنة بس !

*

وكما تعتمد النكتة على المبالغة تعتمد على التوجيه واحتمال الضدين او على التهكم ، وقد يجيء التهكم غير مقصود فتحلو به النكتة إذ تكون غير متوقعة ، وقد يجيء مقصوداً وهو نوع يحتاج من قائله الى ذكاء خارق وبديهة سريعة واليك المثل :

الزوجة وقد طبخت لزوجها لاول مرة : إلا قول لي ، لو طبخت لك كل يوم كده تعطيني إيه ؟

الزوج : اعطيكي بوليسة التأمين على حياتي !

وهذا مثل آخر :

الزوجة مذعورة : الحقني ، انا بلعت المطوة . (سكين صغيرة)

الزوج : ليه بس كده يا شيخة ، دى مش بتاعتي !

واليك مثلاً آخر من ابرع أمثلة النكت المتهكمة :

مدير المكتب : الوظيفة الخالية عندنا واحدة ، لكن الطلبات المقدمة مئات مكدسة ، مش فاضي افرزها .

أحد اصحاب الطلبات : طيب اذا كان كده ، عيني سعادتك كاتب لفرز الطلبات !

ومن أبدع نكت التهكم والمغالطة والغفلة هذه النكتة :

المحرر وهو غاضب : انا كاتب في المقالة بتاعتي ان الحيوان طوله ستة امتار ، ازاي ألاقي مكتوب فيها ان طوله ثلاثة امتار ؟

رئيس التحرير : ما كانش في الصفحة محل يساع المقالة ، وعلشان كده اختصرناها !

*

وقد تحدث النكتة من مفارقة نشأت من الغلط في الفهم لأن الذهن منصرف عن التفهّم ، او من الغلط في الاجابة او من نقص فيها ، او تكون من جواب غير متوقع يذهب فيه المجيب غير مذهب السائل كما في اسلوب الحكيم.

ومن أمثلة الغلط في الفهم الناشيء من انصراف الذهن بالخُوف هذه النكتة :

هرب لص من وجه الشرطة وجلس على قهوة نائية عن المدينة وطلب من الجرسون شاي فنادى الجرسون : هات شاي واظبطه ؛ فما كان من اللص الا ان هرب !

ومثال النكتة الناشئة من خطأ الاجابة او نقصها هذه النكت :

١ — الولد : بابا ، ليه الاتومبيل بيسبق الحصان ؟

الوالد : علشان الاوتومبيل بيمشي بالبنزين .

الولد : طيب ما نسقي الحصان بتاعنا بنزين !

٢ — الفلاحة لسائق التاكسي : على مهلك يا ابني احسن دي اول مرة اركب فيها أوتومبيل .

السائق : ما تخافيش يا ست لانها اول مرة اسوق فيها اوتومبيل !

٣ — لاعب القمار لزوجته :من الغريب اني دايماً اخسر ليلة واكسب الليلة الثانية !

الزوجة : العب دايماً الليلة الثانية !

وكما تنشأ النكتة من غلط في الاجابة تنشأ من غلط في العمل كهذه النكتة :

رجل البوليس للرئيس بالتلفون : هنا حادثة سرقة وقد قبضت على واحد منهم .

الرئيس : من هو اللى مسكته ؟

رجل البوليس : الراجل اللى انسرق ؟

أما النكتة التي تكون من جواب غـير متوقع فهي كثيرة ومنها :

هي ، وقد استغربت نعومة وجهه : كم مرة تحلق وجهك في اليوم ؟

هو : اربعين .... خمسين ....

هي : ليه ؟ انت مجنون ؟

هو : لا ، انا حلاق .

ومنها :

هو : للجزار : عندك لحم ؟

الجزار : ايوه

هو ، اعطني رطلين . فيعطيه الجزار

هو : عندك كبده

الجزار : ايوه

هو : اعطني رطلين ، فيعطيه الجزار .

هو : عندك قلب ؟

الجزار : ايوه

هو : طيب اجري وراي بقي ، ثم يجري .

*

وقد تكون النكتة من غلط المواجهة ، والمدرسون أكبر من لا يصاب بأغلاط المواجهة من التلاميذ البلداء والمقصرين ، والامثلة في ذلك كثيرة لا حصر لهـــا ، ولكن المدرسين في مقام الآباء الذي يغتفرون السيئات ، ولهم اسوة بالملوك والخلفـاء الذين كان يواجههم الشعراء الذين قلّت اذواقهم اقبح المواجهات ، فليكونوا ككافور من المتنبي وهشام من ابي منجم وعبد الملك من ابن قيس الرقيات .

هذا ، وليس من الضروري ان يكون البـاعث للنكتة غرضاً بلاغياً واحداً فقد يكون هناك اكثر من غرض واحد لسَوْق النكتة ، فقد يجتمع خطأ الاجابة مع الاستهانة والتهكم ، او التهكم في اسلوب الحكيم وهكذا ، وذلك لا يخفى عليك ايها القارىء اللبيب .

ولم ينفرد نثر العامية بالنكتة وإنما شاركه فيها الشعر العامي ايضاً ، وهناك قصائد كثيرة ومقطوعات لا عدد لها تتنـاول النكتة ، وحسبي ان ادلك على قراءة باب الشعر الفكاهي في المجلات فانها لا تخلو منه في كل اسبوع .

أثرها

لم أعد أخشى بعد هذا أن تعد النكتة من سقط الكلام الذي لا قدر له ولا فائدة فيه. ولعلنا لم نزل نذكر ما قلناه من أنها ليست عدة البطالين والمتبذلين والمتطرحين لها فحسب، وانما هي أيضاً سلوى المتأدبين والمثقفين، بل هي فوق ذلك ذات خطر عظيم.

لا شك أن الاكثار منها مضيع لقيمتها، واحترافها مضيع لمقام محترفيها، ولا سيما ان كانوا من فئات الأصاغر والسكارى والاباحيين. وانما قيمة النكتة في فنها ودقتها. وما من شك أيضاً في أن نكت الأصاغر ومن على شاكلتهم تفارق الدقة والفن الرفيع في كثير من المواضع ان لم نقل في كل المواضع، وهذا ما يشكو منه كثير من المثقفين.

وما عدا ذلك فان النكتة تنشط النفوس وتذهب عنها السآمة والملل، وتطربها كما تطربها معاني الشعر وألحان الغناء.

إن الانسان منذ آدم وحواء يحاول أن يخفف عن نفسه

آلام الحيـــاة بالضحك ، بل الضحك غريزة فيه لا يمكن إخمادها ، وهو من متممات تعريف الفلاسفة للانسان ، ومنذ القدم والانسان دؤوب في خلق الانفعالات التي تسر النفس وتشيع في جوانبهـــا الفرح ، والحياة جامدة ميتة ما لم تتخللهـــا الانفعالات التي تخلق فيها الحركة والتقلّب .

وليس الضحك بالقبيح ولا الممقوت حتى لو صار مطلباً لذاته لا طريقاً للترفيه والتخفيف ، ويقول فيـه الجاحظ : « ولو كان الضحك قبيحاً من الضاحك وقبيحاً من المضحك لما قيل للزهرة والحبرة والحلي والقصر المبني كأنـه يضحك ضحكاً . وقد قال الله جل ذكره « وأنه هو أضحك وأبكى وأنـه هو أمات وأحيا » فوضع الضحك بمنزلة الحياة ووضع البكاء بمنزلة الموت ، وإنه لا يضيف الله الى نفسه القبيح ولا يمنّ على خلقه بالنقص . وكيف لا يكون موقعه من سرور النفس عظيما ومن مصلحة الطباع كبيراً وهو شيء في أصل الطباع وفي أساس التركيب ، لان الضحك أول خير يظهر من الصبي ، وقد تطيب به نفسه وعليه ينبت شحمه ويكثر دمه الذي هو علة سروره ومادة قوته . ولفضل خصال الضحك عنـد العرب تسمي أولادهـــا بالضحاك وببسام وبطلق وطليق . وقـــد ضحك النبي صلى الله عليـه وسلم ومزح ، وضحك الصالحون ومزحوا ؛ واذا مدحوا قالوا : هو ضحوك السن وبسام العشيات وهشٌ الى الضيف وذو أريحية واهتزاز » .

ويقول الحصري القيرواني في مقدمة كتابه جمع الجواهر

في الملح والنوادر : « الحمد لله الذي أضحك وأبكى وأمات وأحيا ، فعرفنا بلذة الفرح شدة المرح ، وبحلاوة الحياة مرارة الوفـــاة » .

وهذا الكلام الذي يدعه عند هذا الحد الجاحظ والقيرواني يكمله لنا الاستاذ الجليل احمد أمين بك فيقول بعـــد ان علل للضحك وبين أسبابه التي خصت الانسان من بين سائر الحيوان بالضحك يقول :

« لو أنصف الناس لاستغنوا عن ثلاثـــة أرباع ما في الصيدليـــات بالضحك ، فضحكة واحدة خير الف مرة من « برشامة اسبرين » وحبـة « كينين » وما شئت من أسماء أعجمية وعربية ، ذلك لان الضحكة علاج الطبيعة والاسبيرين وما اليه علاج الانسان ، والطبيعة أمهر علاجاً وأصدق نظراً واكثر حنكة » .

ثم قال :

« فانفجار الانسان بضحكة يجري في عروقه الدم ، ولذلك يحمر وجهه وتنتفخ عروقه . وفوق هذا كله فالضحكة فعل سحري في شفاء النفس وكشف الغم وإعادة الحياة والنشاط للروح والبدن ، وإعـداد الانسان لان يستقبل الحيـــاة ومتاعبها بالبشر والترحاب ... ولو أنصفنا ايضاً لعددنا مؤلفي الروايات المضحكة والنكت والنوادر البارعـــة التي تستخرج منك الضحك وتثير فيك الاعجـــاب والطرب ، وهؤلاء الذين يضحكون بأشكالهم وألاعيبهم وحركاتهم — أقول لو أنصفنا

لعددنا كل هؤلاء أطباء يداوون النفوس ويعالجون الأرواح ويزيحون عنا آلاماً اكثر مما يفعله أطباء الاجسام ... »

ثم قال : « والضحك بلسم الهموم ومرهم الأحزان ، وله طريقة عجيبة يستطيع بها أن يحمل عنك الاثقال ويحط عنك الصعاب ويفك عنك الاغلال — ولو إلى حين — حتى يقوى ظهرك على النهوض بها وتشتد سواعدك لحملها » .

*

وإن الوف الحمقى والمجانين وملايين السكارى والثقلاء والاغبياء والمخرفين قد قدموا للعالم من نكتهم وفنون هزلهم ما يرفّه عنه ويضيء بعض جوانب الحزن التي تخيم عليه . وإن أفواه هؤلاء لتبتسم عن نكت إن لم يعجز عن مثلها العقلاء ، فهي سلوى هؤلاء العقلاء ، وكم اتخذت النكتة سبيلاً لابواب الملوك فاصطنعوا في أبوابهم النكاتين ليخففوا عنهم الغضب ومشاق الحكم ، وكم فكت النكتة رجلا من قيد ورقبة من ضرب !

ولا يستطيع أحد أن يدّعي أن رجال الكوميديا اليونانية القدماء كانوا من غير العقلاء ، ولا أن رجلا كموليير وشكسبير ومن لفّ لفّهم لم يخففوا من ويلات الانسانية بتلكم الاشخاص الهزلية التي تلقي النكت في مسرحياتهم على النظارة والمشاهدين . ولست أقصد رواياتهم الهزلية فحسب ، وإنما أقصد رواياتهم الجدية أيضاً .

*

ومن شأن النكتة أن تنفّس عن الغرائز المكبوتة والآراء الحبيسة . وأظننا جميعاً نعلم ونحس الكبت الذي اصبنا به نحن الشرقيين المتزمتين من غير أن نبحث عن حلول لقضايانا . وأغلب النكت التي تنفس عن الغرائز المكبوتة من النوع الجنسي الذي حدثنا عنه فيما سبق والذي لا يعلن إلا في المجالس الخاصة أو التي لا تحافظ على الآداب . وقد عني فرويد بالكبت الجنسي فعزا اليه كل ما يصدر عن الانسان على وجه التقريب .

*

والنكتة تطلعك على ما في نفس قائلها من لطف وشفافية ، إذ نحن قد اصطلحنا فلسفة على ان الانسان حيوان ناطق ذو عاطفة ، وليس الناس بقادرين جميعاً على ان ينسجوا مقالات أو قصائد أو قصصاً حتى ندرك مما نسجوا وقالوا وكتبوا دقة شعورهم ، وإنما نكتة واحدة أو نكتتان تطلعك أو تطلعانك على خواطر غيرك ومقدار حساسيته ونقاء نفسه ونفاذ بصيرته .

*

والنكت خطوط قوية لوصل البلاغة بالحياة العملية حين تعجز عنها خطوط الكلام المعتاد . وما أجف حياة عادية لا تقع فيها إلا الفاظ البيع والشراء والأخذ والعطاء والدفع والرد والأكل والشرب !

بل هي دليل على أن قوماً من الاقوام قد أتقنوا لغتهم

وعرفوا في يسر وسهولة كيف يؤدون المعاني بغير طريق الحقيقة الجاف الذي لا لين فيه .

وهي ترقي اللغة وتنمي قوة الخيال والابتكار ، وقد فطر الانسان على ألا يقنع بأن يكون مجرد كائن يمارس التجارب ممارسة ساذجة ضعيفة ، بل إن قصارى جهده العملي والنظري أن يرى ويكشف في تجاربه مغزى ومعنى جديداً ، وهو كذلك لا يقنع أن يكون مجرد كائن جامد لا يؤدي بلغته إلا ما تحتاجه منها الحياة الساذجة الجامدة من معان لا تشيع فيها روحاً ولا جمالا .

*

وإن النكتة لتثير الاذهان وتخلق فيها الحدّة والحذر والانتباه ، فسامع النكتة يجب ان يستجمع لها حين يسمعها حتى يفهم على الفور فيضحك أو يجيب على النكتة بنكتة مثلها ، أو يجاري المجتمع الذي هو فيه وإلا عدّ بليداً لا يفهم وجامداً لا يلين ، وكثيراً ما وقع البلداء والجامدون من السامعين في فخاخ السخرية وانقلبت عليهم النكتة تأخذهم من كل جانب .

*

وكما ان النكتة دليل على تسامح المتراشقين بها فانها تعلّم التسامح وتعوده ، وهل الدعابة والمزاح حينما يعتدلان إلا براءة من الكبر والغلظة والتعالي ؟!

قال علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه : من كانت فيه

دعابة فقد برئ من الكبر .

*

والنكتة وسيلة من وسائل اصلاح المجتمع وتهذيبه ونصحه اذا عجزت القوانين والتعاليم عن تأديبه ، وما نسجت النكتة حول غني الحرب إلا لتحدّ من كبريائه وتقلل من غلوائه ، وما قيلت النكت حول المرأة السمينة التي أطلقوا عليها اسم « رفيعه هانم » إلا لتمنع النساء عن البطنة فيطرحن عنهن رداء الكسل وتفتح اعينهن على حقائق مقاييس الجمال . وقد قيل « نرى الحق احياناً غريباً يناضل لكي يبرز ونجده احياناً مغفياً في نكتة » . بل رب نكتة سارت سير الامثال لو انها اصابت مقتلا من مقاتل الحقيقة كتلك النكتة الشهيرة التي قيلت إبان الحرب الاخيرة في الانجليز وهي : انهم مستعدون للتضحية حتى آخر جندي فرنسي ...

ومما قاله الاستاذ العقاد فيما كان يكتبه في « فكرة الاسبوع » :

« النكتة في مصر محك العظمة والجاه من اصابته فشل وانهزم ، ومن اخطأته فذلك فوق الفشل وفوق الهزيمة . وكان قرقوش وزيراً صالحاً كأحسن ما يكون الوزراء في زمانه فلما ركبته النكتة صدقها الناس ولم يحفلوا بالتاريخ . وكان سعد زغلول زعيما قومياً ترميه النكتة بعد النكتة فلا تصيبه وترتد عنه إلى من رماها . قال شيخ معمم عنه :

إنه عرابي الثاني .. فكان الناس يقولون عن هـذا الشيخ كلما رأوه هذا هو الشيخ عرابي الثاني ، وقيـل عن سعد إنه ألْعُبان فاصبح الألعبان عَلَماً على من قاله لا على من قيل فيه » .

وكما تكون النكتة للاصلاح الاجتماعي تكون للاصلاح الاقتصادي والصحي والتعليمي .

*

وللنكتة المصرية أثر بليغ في تهذيب اللغة فهي تجبر الأدباء والشعراء على اختيار الالفاظ والأساليب والمعاني ، لذلك فَضَل أسلوب الدارجة المصري كل أساليب الدارجة في البلاد العربية .

ولذلك استحسنتُ ان تجمع النكتة على نكت كما جمعت النقطة على نقط وإن خالفت به الجمع المعروف في القاموس .

نعم تحكمت في الأدب الفصيح فما يستطيع شاعر حاضر بصر أن يذكر في ألفاظه ألفاظاً شهرت بهـا النكتة كلفظ قعر وصَرم وبُلغ ، ولم نعد نستسيغ هذه الالفاظ حينما نسمع من شعر الحطيئـة « قعر مظلمة » ولا مثل قول امرىء القيس « ازمعت صرمي » ولا قول البحتري « بلـغ من صبابة العيش » اذ معنى القعر والصرم في النكتة المصرية معنى رديء ، والبلغ في العامية المصرية نوع من الاحـذية الصفراء المنسوبة الى ارض المغرب .

*

والنكتة فوق ذلك كله مجال للنقد اللاذع والنيل من الخصوم من حيث تمكن المتسلح بها من ان يفرّ من مؤاخذة القانون ، وكم اتخذتها السياسة درعاً حصينة وأسهماً صائبة وأفراسا فارهة .

وانك لا تحصي نكت مجلس النواب او الشيوخ في مصر كثرة ووفرة ، كما أن خطباء مصر الممتازين في المجلسين وفي خارجهما يمتازون بانفتاح أعينهم على النكتة فلا يدعون فرصة تسنح دون أن يصلوها بنارها ، ومن خلف هؤلاء الصحافيون يسجلونها عليهم تسجيلا .

وكان سعد زغلول من أبرع الخطباء الذين لا تفوتهم النكتة . وطالما سمعنا له نكتاً طريفة ، وكان هو يهتز لها – ولو صدرت عنه – فيضحك لها ضحكا عاليا . ومن الانصاف أن نقول ان خطباء الانكليز قد بذوا خطباء الشعوب في النكتة السياسية اللاذعة فلا يشق لهم فيها غبار .

والناقد باللغة الفصحى قد تعيا حيله في لف الكلام للخروج من المآزق والنجاة من المضايق . وقد يخفى مراده مع كثرة محاولاته ، اما النقد بالنكتة فرمية في الهدف وضربة في الصميم ، ولذا اتخذتها الصحافة العالمية عامة ، والصحافة المصرية خاصة إحدى وسائلها .

ومعظم النكت الصحفية نكت سياسية ، وقانا الله شر الخصومة السياسية حتى لا تجرحنا ألسنة النكتة أو تعضنا

بأنيابهـــا .

*

هذا ، ولا تستطيع عجالة كهذه ايها القارىء الكريم ، ولا عشر من امثالهـا ان تقفك على حقيقة الروح المصري وخفـــته . واسمح لي ان أقلب المثل العربي الذي يقول : « سماعك بالمعيدي خير من ان تراه » فأقول : « ليس سماعك بالمعيدي خيراً من ان تراه » .

وقبل ان نفترق أرجو الا يكون قـد رسخ في نفسك وثبت في ذهنك انه لا شيء إلا النكتة في بضائع المصريين ، وانما عندهم جد وعندهم علم وعمل ونبوغ . وليس شيء من هـذا قليل الانتشار ، ولكن الشعب مقبل على حياة راقية غالية وهو يجرّ معه نكتته ويسيرها وراءه ويهذبها ويعليها .

ولن يقعدنا التسامح الذي هو من جبلتنا ، ولا التسلية والمزاح اللذان هما من صوَر لهونا - لن يقعـــدنا ذلك ولا هذان عن ان نصل الى أهدافنـــا المجيدة التي نرجوها ، والله ولي التوفيق .

فهرست

	صفحة
تمهيد	٧
النكتة	١٣
في مصر	١٩
النكاتون	٣٤
موضوعها	٤٣
انواعها	٤٧
تاريخها	٥٨
بلاغة النكتة	٦٦
أثرها	٧٧

أعـــلام الحرية

سلسلة أدب ورواية وتاريخ

الاستاذ قدري قلعجي

•

ظهر منها :

١ – سعد زغلول : رائد الكفاح الوطني في الشرق العربي
٢ – ابراهيم لنكولن : محرر العبيد وموحد الولايات الاميركية
٣ – مدحت باشا : أبو الدستور العثماني وخالع السلاطين
٤ – روبسبيير : بطل الثورة الفرنسية
٥ – جمال الدين الافغاني : حكيم الشرق
٦ – شوبان : نشيد الحرية والوطنية
٧ – صلاح الدين الايوبي : رجل غيّر وجه التاريخ
٨ – كرومويل : بطل الثورة الانكليزية
٩ – أبو ذر الغفاري : أول ثائر في الاسلام
١٠ – ديموستين : بطل أثينا
١١ – غاندي : ابو الهند

ثمن النسخة ١٥٠ قرشاً لبنانياً أو ١٧٠ فلساً أو مليماً أو ملا

٩٣–٤–٤٨

808.7:Sa27nA:c.1
سيد الاهل ،عبد العزيز
النكتة المصرية
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01030454

American University of Beirut

808.7
Sa27nA

General Library

808.7
Sa27nA
c.1